

## الفصل الثاني

### العوامل التي ساعدت على تطور الحياة الفكرية في إقليم خراسان في العصر الساجوقي

- تقديم.
- أولاً: اهتمام السلاطين والوزراء بالعلم والعلماء.
- ثانياً: الصراع السني السني.
- ثالثاً: الصراع السني الشيعي.
- رابعاً: الرحلات العلمية.

obeykandl.com

## تقديم:

عاصرت الدولة السلجوقية كثيراً من مظاهر النهضة العلمية الإسلامية في القرن الخامس الهجري، الذي شهد هو وسابقة القرن الرابع الهجري أروع وأزهى فترات تاريخ الحضارة الإسلامية، حيث جرى سلاطين السلاجقة ووزراؤهم على ما انتهجه خلفاء وأمراء وملوك الدول الإسلامية من التنافس في مناصرة العلم، وتشجيع العلماء، وإغداق الأموال عليهم، وإنشاء المدارس والمساجد والبيمارستانات والخوانق للتعليم في شتى فنون المعرفة، فكانت مدن نيسابور، وهراه، ومرو، وبلخ في خراسان قد حفلت بالعلماء والمدرسين في الآداب، والعلوم المختلفة، وأصبح إقليم خراسان مقصداً للعلماء والطلاب ومنازة علمية يؤمها العلماء والفقهاء.

وقد تضافرت عدة عوامل على إنعاش الحركة الفكرية والعلمية في إقليم خراسان، منها أن سلاطين السلاجقة أظهروا ميلاً ملحوظاً لتشجيع العلم والعلماء على الرغم من أنهم لم يكونوا متحضرين، وغير مثقفين<sup>(١)</sup>، ولذلك تركوا تشجيع العلماء والأدباء وتغذية الحركة الفكرية لوزرائهم<sup>(٢)</sup>، ممن يجيدون اللغتين الفارسية والعربية كعميد الملك الكندري<sup>(٣)</sup>، ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م وزير طغرلبك (٤١٩ - ٤٥٥هـ / ١٠٣٧ - ١٠٦٣م) والوزير نظام الملك أبو علي حسن بن علي بن إسحاق الطوسي (٤٥٥ - ٤٨٥هـ / ١٠٦٣ - ١٠٩٢م) وزير السلطان ألب أرسلان (٤٥٥ - ٤٦٥هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢م) والسلطان ملكشاه بن ألب أرسلان

---

(١) أبو شجاع: محمد بن الحسين ظهير الدين الروذراوري ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م، ذيل تجارب الأمم، نشر أمدوزر، مطبعة التمدن، القاهرة ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م، ص ٣.

(٢) نظام الملك: أبو علي حسن بن علي بن إسحاق الطوسي ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م، سياسة نامه، ترجمة وتعليق د. السيد محمد العزاوي، الناشر دار الرائد العربي، توزيع دار ركابي، ص ٥.

(٣) الكندري: نسبة إلى كندر بالضم ثم السكون ثم الضم وراء، قرية من نواحي نيسابور من أعمال طريثيت. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٧، ص ١٥٤.

(٤٦٥ - ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م) كان له أثر كبير في تطور الحياة الفكرية في إقليم خراسان في العصر السلجوقي<sup>(١)</sup>.

كما كان السلطان سنجر (٤٩٠ - ٥٥٢ هـ / ١٠٩٦ - ١١٥٧ م) يحترم علماء الدين والفقهاء احتراماً كبيراً ويتقرب إليهم ويميل إلى الزهاد رغم عدم إمامه بالقراء والكتابة، وقد ترتب على تشجيع السلطان سنجر للعلماء والكتاب والفقهاء أن أصبح عصره مشهوراً بكثرة عدد شعرائه وعلمائه كما ازداد فيه عدد الأدباء الفرس من كتاب النثر والشعر<sup>(٢)</sup>.

ومن العوامل التي ساعدت على تطور الحركة الفكرية في إقليم خراسان في العصر السلجوقي وجود المذاهب الدينية المختلفة، هذه المذاهب التي اتخذت من العلم وسيلة لترويج تعاليمها، ومحاولة الإقناع بصحة هذه التعاليم، وكان الصراع الذي ثار بين هذه المذاهب من وسائل ترويج سوق الثقافة في ذلك العصر، وأوضح دليل على صحة ذلك الآثار العلمية الوفيرة التي خلفها علماء المذاهب الدينية المختلفة، برغم ما أحدثته هذه المذاهب من انقسام بين المسلمين، وإضعاف لقوتهم، وللخلافة العباسية<sup>(٣)</sup>.

(١) العيني: بدر الدين محمود، ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م، عقد الجان في تاريخ أهل الزمان، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤، ميكروفيلم رقم ٦٣٥٨، ورقة ٤٥، محمد محمد يونس: الأثر العربي في شعر بلاد ما وراء النهر في القرن السادس الهجري، مقال منشور ضمن سلسلة أبحاث المؤتمر الدولي لمسلمي آسيا الوسطى والقوقاز، جامعة الأزهر ١٩٩٣ م، ص ٤٣.

(٢) محمد محمود إدريس: سلطان السلاجقة الأعظم السلطان سنجر السلجوقي (سياسته الداخلية وأهم مظاهر الحضارة في عصره)، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، ١٩٨٨ م، ص ٢٤، ٢٥، يحيى حمزة عبد القادر الوزنه: الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر (٤٩٠ - ٥٥٢ هـ / ١٠٩٦ - ١١٥٧ م)، ط ١ الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م، ص ٢١٤.

(٣) عبد النعيم حسنين: إيران والعراق في العصر السلجوقي، ط ١، نشر دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ص ١٨١، ١٨٢، رشاد بن عباس معتوق: الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، ص ٩١، ٩٢.

ولذا فقد كان اهتمام السلاطين والوزراء بالعلم والعلماء إلى جانب الصراعات المذهبية وما خلفته من آثار علمية إلى جانب الرحلات العلمية، من أهم العوامل التي ساعدت على تطور الحياة الفكرية في إقليم خراسان في العصر السلجوقي.

### أولاً: اهتمام السلاطين الوزراء بالعلم والعلماء

كان سلاطين السلاجقة الأوائل بدواً وغير مثقفين، ولذلك فقد اضطروا إلى الاستعانة برجال أكفاء لخدمة الدولة في مختلف الشؤون الإدارية والسياسية من وزراء وحجاب وكتاب ممن كان لهم خبرات سابقة في هذه المجالات لدى الدويلات الإسلامية الأخرى في المشرق، كالغزنويين وغيرهم، ولهذا فقد استعان السلاجقة بأعداد من كتاب الفرس وغيرهم لإدارة شؤون البلاد، وقد استطاع هؤلاء أن يلعبوا دوراً هاماً في إدارة شؤون البلاد السياسية والإدارية والعلمية<sup>(١)</sup>.

ولقد كان سلاطين السلاجقة ووزرائهم يشجعون العلماء والأدباء والناهبين في كل علم وفن، على مواصلة الإنتاج والإبداع، بما يقدمونه لهم من المكافآت والجوائز السخية حتى يشيدوا بذكرهم في مقدمات كتبهم، وفي ألوان إنتاجهم المختلفة، مما جعل الإنتاج العلمي والفني غزير في العصر السلجوقي، وتشهد بهذه الغزارة والكثرة الآثار الباقية عن هذا العصر من كل علم وفن<sup>(٢)</sup>.

وبذلك نشطت الحركة الفكرية، وراجعت سوق العلم، وزخر بلاط السلاجقة بالعلماء والأدباء، كما زحرت مدن وقرى إقليم خراسان بالعلماء والأدباء والشعراء وغيرهم من حملة مشاعل العلم، وبفضل تشجيع سلاطين السلاجقة ووزرائهم للعلماء، ومحبتهم للعلم وتكريمهم لرجالهم، قام العلماء في مختلف بلاد الأرض وخاصة في العراق وخراسان، وصنفوا كتب التفسير والفقهاء الحديث،

(١) مريزن سعيد مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط ١، ١٩٨٧م، ص ١٧١.

(٢) عبد النعيم حسنين: إيران والعراق في العصر السلجوقي، ص ١٨٥، توفيق الطويل: الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، بدون، ص ١٠٨.

وقد أصبح كل واحد من العلماء بفضل هذا التشجيع محطاً لأنظار العالمين، وقد استقامت مملكة سلاطين آل سلجوق ببركة فتواهم وتقواهم، وحرصهم على أن تسير الرعية على الشريعة<sup>(١)</sup>.

ففى عهد السلطان طغرلبيك (٤٢٩ - ٤٥٥ هـ / ١٠٣٧ - ١٠٦٣ م) انتشر بناء المساجد فكان يقول: استحي من الله أن أبني داراً ولا أبني بجانبها مسجداً<sup>(٢)</sup>، كما كان وزيره عميد الملك الكندرى<sup>(٣)</sup> (٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م) يحترم الفقهاء<sup>(٤)</sup>، ويجلهم فى حياتهم ومماتهم<sup>(٥)</sup>، وإن كان يبالغ فى اهتمامه بأئمة المذهبى الحنفى - مذهب - وكان شديد التعصب على الشافعية<sup>(٦)</sup>، كما كان متصوفاً<sup>(٧)</sup>، كما أظهر اهتماماً بالغاً بالنواحي الأدبية، وكانت له أياد يبضء فى الكتاب والفصاحة، وكانت له مؤلفات عديدة، باللغتين العربية والفارسية، كما كان من الأدباء الكبار، حتى أن معظم المؤرخين يرجع إزدهار دولة طغرلبيك إلى كفاءة هذا الرجل وشهرته العلمية والأدبية<sup>(٨)</sup>، ويدل على مكانة هذا الوزير العلمية والأدبية أن

(١) الراوندى: محمد بن على بن سليمان بن محمد ت ٥٩٩ هـ / ١٠١٩ م، راحة الصدور وآية السرور، تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة إبراهيم أمين الشواربى، عبد النعيم محمد حسنين، فؤاد عبد المعطى الصياد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٥ م، ص ٧٢، ٧٣.

(٢) البندارى: الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م، تاريخ دولة آل سلجوق، ط ٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م، ص ٢٨.

(٣) الكندرى: نسبة إلى كندر بالضم ثم السكون ثم الضم وراء، قرية من نواحي نيسابور من أعمال طريثيت. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٧، ص ١٥٤.

(٤) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ترجمة وتعليق لأحمد كمال الدين حلمى، الكويت، ١٩٨٤ م، ص ٦٦.

(٥) البندارى: آل سلجوق، ص ٢٥.

(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٣٨.

(٧) خواندمير: غياث الدين، ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م من دستور الوزراء، تأليف وترجمة وتعليق د/ حربى توفيق سليمان، تقديم د/ فؤاد عبد المعطى الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠ م، ص ٢٤٤.

(٨) عبد الهادى محبوبية: نظام الملك كبير الوزراء فى الدولة الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، ط ١، ١٩٩٩ م، ص ٢١٦.

السمرقندى<sup>(١)</sup> حين تحدث عن ماهية وصفة الكاتب الكامل، أوصى من يريد بلوغ درجة الكمال فى هذه المهنة أن يضطلع على كتب السلف ممن كان لهم باع فى هذا المجال، وكان ممن عددهم من هؤلاء عميد الملك الكندرى.

وكان له فضل وشعر<sup>(٢)</sup>، ومن شعره

الموت مر ولكن إذا طمئت      نفسى إلى العز مستحيل لمشربه

رياسة باض فى رأسى وساوسها      تدور فيه وأخشى أن تدور به<sup>(٣)</sup>

وقد حظى الأدباء فى عهده باهتمامه ورعايته، وإغداقه الأموال عليهم<sup>(٤)</sup>، فأصبح عميد الملك وزير طغرلبك ممدوحًا من قبل الشعراء، منهم الباخزرى الذى قال فيه:

أمين طغرلبك الميمون طائره      فى العضلات إذا ما خانته الأمانة

كالشمس إن طالوه فى السمونأى      وإن أرادوا اقتباس النور منه دنا

لا يقرع السن من مال يصاب به      ولا يعرض على إبهامة غبنا

عالى المحل ولكن ما مشى مرحًا      غض الشباب ولكن ما طغى ددنا

(١) النظامى العروضى ت ٥٥٠ هـ / ١٣٦٨ م، جهاز مقالة (المقالات الأربع) فى الكتابة والشعر والنجوم والطب، نقلة إلى العربية د/ عبد الوهاب عزام، د/ يحيى الخشاب، وعليه خلاصة حواشى العلامة محمد عبد الوهاب القزوينى، ط ١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م، المقالة الأولى، ص ٢٣٢، ولقد كان معظم وزراء السلاجقة على قدرة فائقة على الكتابة، بما يملكون من حسن الحظ والبلاغة الأسلوب. عبد الهادى محبوبة: من رسائل نظام الملك، مقالة بمجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م، ص ١٦٠.

(٢) ابن الجوزى: أبى الفرج عبد الرحمن بن على ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م، المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، ١٠ أجزاء، ط ١، دار صادر بيروت، ١٣٥٩ هـ، ص ٢٣٩.

(٣) الباخزرى: أبو الحسن على بن الحسن بن أبى الطيب ت ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م، دمية القصر وعصرة أهل العصر، تحقيق د/ سامى مكى العينى، جزءان، ط ١، نشر مكتبة دار العروبة، الكويت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ج ٢، ص ١٤٣.

(٤) الحسينى: صدر الدين على بن ناصر، ت بعد ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م، أخبار الأمراء والملوك السلجوقية المعروف بزبدة التواريخ، تحقيق د/ محمد نور الدين، ط ٢، دار إقرأ، بيروت، لبنان، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ص ٦٨.

أُتيح إقباله إذا قلت: (أقبل من) واهأ لإقباله الوافى بما ضمنا<sup>(١)</sup>

وفى عهد السلطان ألب أرسلان (٤٥٥ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م) والسلطان ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م)<sup>(٢)</sup>، نشطت الحركة الفكرية فى العالم الإسلامى عامة، وإقليم خراسان خاصة بفضل الوزير (نظام الملك أبو على حسن بن على بن إسحاق الطوسى) (٤٥٥ - ٤٨٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٩٢ م) الذى لم يتفق لغيره، ما اتفق له من ازدحام العلماء عليه، وترددهم إلى بابه وثنائهم على عدله<sup>(٣)</sup>، وليس غريبا على هذا الوزير اهتمامه بالعلم والعلماء فهو من أولاد الدهاقين<sup>(٤)</sup>، وقد اشتغل بالحديث والفقهِ<sup>(٥)</sup>، على المذهب الشافعى، وحفظ القرآن<sup>(٦)</sup>، وكانت مجالسه معمورة بالعلماء، مأهولة بالأئمة والزهاد<sup>(٧)</sup>، والقراء والفقهاء<sup>(٨)</sup>، والصوفية، كثير الإنعام عليهم<sup>(٩)</sup>.

- (١) الباخزرى: دمية القصر وعصرة أهل العصر، ج ٢، ص ٢٩٨.
- (٢) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٦٩.
- (٣) السبكى: تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى، ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحى وعبد الفتاح محمد الحلو، ١٠ أجزاء، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون، ج ٤، ص ٣١٣، نظام الملك: (أبو على الحسن بن على إسحاق الطوسى) ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م، سياسة نامه، ترجمة وتعليق د/ السيد محمد نامة، ترجمة وتعليق د/ السيد محمد العزاوى، الناشر دار الرائد العربى، توزيع دار ركابى، بدون، ترجمة المؤلف، ص ٥.
- (٤) الدهاقين: جمع دهقان كلمة فارسية معناها رئيس الإقليم، العينى: بدر الدين العينى، ت ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م، السيف الم هند فى سيرة الملك المؤيد، حققه فهم محمد شلتوت، راجعه محمد مصطفى زيادة، قدم له فه يم محمد شلتوت، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، بدون، حاشية ٢، ص ١٠٩.
- (٥) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ٨، ص ٤٨٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٢٨.
- (٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٥١، خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٤٥، محمد مسفر الزهرانى: نظام الوزارة فى الدولة العباسية فى العهدين البويهى والسلجوقى، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٩٨٦ م، ص ١٤٢.
- (٧) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ٣١٣، محبوبة: نظام الملك، ص ٢٥١.
- (٨) الذهبى: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م، تهذيب سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، هذبه أحمد فايز حمصى، ٣ أجزاء، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م، ج ٢، ص ٤٤٩، الذهبى: دول الإسلام، ج ١، ص ٤١٧.
- (٩) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج ٤، ص ٣٧٤، محبوبة: نظام الملك، ص ٢٥٤، ٢٥٥.

وقد جعل في داره ندوة يوم الاثنين من كل أسبوع يرتادها العلماء والأدباء دون تقييد بسن أو مذهب<sup>(١)</sup>، ورغب الطلبة في العلم، وأغدق عليهم الأموال<sup>(٢)</sup>، فنشأ للناس أولاد نجباء<sup>(٣)</sup>، كما ظهر في عهده أكابر العلماء، وظهر لهم من المصنفات في كافة فروع العلوم الأعداد الضخمة، وأصبح لهؤلاء العلماء مدارس يقصدها التلاميذ وتكتظ بالمدرسين يكتب فيها ما يملون، ويدرس ما يكتبون، ولم يلبث أن يشع الكتاب وينشر في مختلف الأوساط المتعلمة وتحتفظ الخزانات ودور الكتب بنسخ منها للإعارة والنقل والتعليق، وكل ذلك بفضل نظام الملك<sup>(٤)</sup>.

لقد كان اهتمام نظام الملك بالعلم والعلماء حافزاً لسلاطين السلاجقة لمعرفة معنى العلم، فقدوا العلماء، وحظوا لديهم بالتشجيع والاهتمام<sup>(٥)</sup>.

فقد كان السلطان ألب أرسلان (٤٥٥ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م) يذهب إلى خراسان لملاقة العلماء من أصحاب المذاهب المختلفة، كما كان يحضر ويستمع إلى المناظرات والمناقشات التي تتم بين هؤلاء العلماء<sup>(٦)</sup>، كما كان يذهب إلى العلماء ليتقرب إليهم ويستبشرهم وينبرك بهم، فلقد ذهب إلى نيسابور والتقى

---

(١) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٤، ص ٣١٣، نظام عقيلي: (سيف الدين حاجي)، آثار الوزراء، تصحيح وتعليق مير جلال الدين حسيني أرموى، طهران، ١٩٥٨ م، ص ٢٠٧.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٩، ابن رجب الحنبلي: زين الدين أبي الفرج بن شهاب الدين أحمد البغدادي ثم الدمشقي، ت ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م، كتاب الذيل على طبقات الحنابلة، جزءان، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون، ج ١، ص ٥٤.

(٣) البنداري: آل سلجوق، ص ٥٩، محمد سعد السيد: الحياة الفكرية في إقليم خوارزم في العصرين السلجوقي والخوارزمي، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب الزقازيق، ٢٠٠٣ م، ص ٥٤.

(٤) محبوبة: نظام الملك، ص ١٥٩، ١٦٠، دعاء عبد الرحمن محمد، الوزارة في عهد السلاجقة ٤٢٩ - ٥٩٠ هـ / ١٠٣٧ - ١١٥٢ م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٣ م، ص ١٤٣.

(٥) مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، ص ١٧٢.

(٦) ابن رجب الحنبلي: ذيل طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٥٤، ٥٥.

بالعالم الجليل حسان بن سعيد المنيعى ت (٤٦٣هـ / ١٠٦٩م)<sup>(١)</sup>، وكان يحترمه، فسأله أن يبنى جامع بنيسابور، فأجابه السلطان بالموافقة<sup>(٢)</sup>.

ومن علماء خراسان الذين برعوا فى عهد السلطان ألب أرسلان، عبدالله بن محمد بن على محمد بن جعفر أبو إسماعيل الأنصارى الهروى، ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م، وكان كثير السهر بالليل وحدث وصنف وكان شديداً على أهل البدع قوياً فى نصره السنة<sup>(٣)</sup>، ويقال أنه اشتغل فى حداثة سنه بالدرس والتحصيل فدرس العلوم الدينية والأدبية وحفظ أشعار العرب، وأجاد اللغتين الفارسية والعربية، وألف بهمان وقال الشعر العربى، ومزج فى أشعاره بين الشعر الصوفى وغيره من فنون الشعر<sup>(٤)</sup>.

وفى عهد السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان ٤٦٥ - ٤٨٥هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢م زاد الاهتمام بالعلم والعلماء، فقد شجع السلطان ملكشاه الدراسات الفلكية، فأقام مرصداً فى مدينة نيسابور عام ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م<sup>(٥)</sup>، كما جمع،

---

(١) هو الشيخ الجليل، الحاج الرئيس أبو على حسان بن سعد بن حسان بن محمد بن أحمد المخزومى، الخالدى، المنيعى، المرورذى، شيخ الإسلام المحمود بالخصال السنية، عم الآفاق بخيره وبره، وكان فى شبابه تاجراً، ثم عظم حتى كان من المخاطبين من مجالس السلاطين، لم يستغنوا عن رأيه، فرغب إلى الخيرات، وأتاب إلى التقوى، وبنى المساجد والرباطات كما بنى جامع مرو، ت ٤٦٣هـ / ١٠٦٩م، الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٨٢.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ٣٠٠.

(٣) ابن الجوزى المنتظم، ج ٩، ص ٤٤، ٤٥.

(٤) إسعاد عبد الهادى: فنون الشعر الفارسي، طبعة القاهرة، ١٩٧٢م، ص ١٨٦، محمد عبد العظيم أبو النصر، نظم الحكم وأهم مظاهر الحضارة فى دولة الأتراك السلاجقة عصر السلاطين العظام (٤٢٩ - ٤٨٥هـ / ١٠٣٧ - ١٠٩٢م) رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ١٩٩٥م، ص ٤٧٠.

(٥) النظامى العروض: جهاز مقالة، حواشى المقالة الثالثة، ص ١٥٧، عبد النعيم حسانين: إيران فى العصر السلجوقى، ص ١٨٥.

الفلكيين والمنجمين، وجعلوا "النوروز" <sup>(١)</sup> أول نقطة من الحمل، وكان قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت، وصار ما فعله مبدأ التقاويم <sup>(٢)</sup>.

ومن مظاهر اهتمام السلطان ملكشاه بالعلم والعلماء أنه أمر سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م عدداً من كبار العلماء، بتأليف كتاب يقترحوا خير الوسائل لإصلاح نظام الحكم مسترشدين في ذلك بما حفظ التاريخ من أخبار الملوك السالفين العظام، فكتبوا ذلك، ورفعت كتبهم إلى السلطان فأعجبه ما كتب وزيره نظام الملك، فأعلن أنه سوف يتخذ ما كتبه إماما يسير على هداية في الإصلاح <sup>(٣)</sup>.

كان السلطان ألب أرسلان ومن بعده ملكشاه بن ألب أرسلان مدعو مان بوزير قوى هو الوزير نظام الملك الطوسي (٤٥٥ - ٤٨٥هـ / ١٠٦٣ - ١٠٩٢م) الذى نشطت بفضله الحركة الفكرية في إقليم خراسان، فقد ارشى منشآت للخير والبر في خراسان <sup>(٤)</sup>، فبنى المدارس التى انتشرت في أنحاء المدن الإسلامية <sup>(٥)</sup> تلك المدارس والتي حملت اسم "المدارس النظامية" <sup>(٦)</sup>، وأشهرها نظامية بغداد التى أصبحت النواة التى أنشئت عليها المدارس فى المدن الإسلامية ومنها نظامية

(١) النوروز: كلمة فارسية مركبة من لفظين أولها "نو" بفتح النون وضمها أى "الجديد" وثانيها "روز" أى "اليوم الجديد"، أما فى الاصطلاح فتطلق على رأس السنة الفارسية التى يقع فى اليوم الأول من شهر فرور دين الموافق ٢١ مارس "آذار" أى أول فصل الربيع. وقد استعملت كلمة "نوروز" فى اللغة العربية بصيغتها الفارسية، كما عربت "نيروز" وقد وردت الكلمة بهاتين الصيغتين فى النصوص العربية، وأن كانت كلمة "النيروز" أكثر استعمالاً. فؤاد عبد المعطى الصياد: النوروز وأثره فى الأدب العربى، طبعة دار الأحد، البحيرى أخوان، بيروت، ١٩٧٢م، ص ١٣ : ١٤.

(٢) السيوطى: جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م، تاريخ الخلفاء، عنى بتحقيقه إبراهيم صالح، ط ١، دار البشائر، دمشق، سورية، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ٤٩٩.

(٣) نظام الملك: سياسة نامة، ص ١٠.

(٤) خواندمير: دستور الوزراء، ٢٥٢.

(٥) ابن الجوزى: شذور العقود، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٩٩٤، ميكروفيلم ٣٥٨٢٦، ورقة ١٥٢، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ٣١٣.

(٦) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ١٤٢، خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٥٢.

Bernard lewis: The Arabs in history, New York 19670 . p 149.

نيسابور<sup>(١)</sup> ونظامية مرو<sup>(٢)</sup>، ونظامية هراة<sup>(٣)</sup>، ونظامية بلخ<sup>(٤)</sup>، ونظامية طوس<sup>(٥)</sup>، هذه المدارس التي بفضلها ازدهرت الحركة الفكرية في إقليم خراسان<sup>(٦)</sup>، وجعل في هذه المدارس دور للكتب<sup>(٧)</sup>، وكان نظام الملك يختار بنفسه من يقوم على خزانة الكتب ويدقق في اختياره، وأنه يجب أن يكون عالماً عارفاً سنى المذهب شافعياً أصلاً وفروعاً له معرفة جيدة بالأدب والعلوم، حسن الحظ، جيد الضبط، كتب الكثير من كتب الأدب<sup>(٨)</sup>، وكان الإقبال على تلك المدارس من الطلاب والعلماء على السواء<sup>(٩)</sup>.

وعلى الرغم من اهتمام الوزير نظام الملك بالعلوم الدينية، إلا أنه لم يغفل النواحي الأدبية، بل أن نظام الملك نفسه ساهم في هذه النهضة الأدبية، مما جعله في مصاف الأدباء والمؤرخين والمشرعين الكبار<sup>(١٠)</sup>، ولعل أهم إسهاماته في هذا المجال "سياسة نامة" والذي يتضمن معلومات تاريخية هامة في النواحي الثقافية والاجتماعية والدينية والاقتصادية<sup>(١١)</sup>.

- 
- (١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٥١، محبوبة: نظام الملك، ص ٣٧٩: ٣٨٢.
  - (٢) السبكي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣١٣، عبد النعيم حسانيين، إيران والعراق في العصر السلجوقي، ص ١٨٣.
  - (٣) خواندمير: المصدر السابق، ص ٢٥٢، محبوبة: نظام الملك، ص ٣٨٨، ٣٨٩.
  - (٤) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ناجي معروف: علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، ط ١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣، ص ٧٠.
  - (٥) محبوبة: نظام الملك، ص ٣٩٠، عقيلي: آثار الوزراء، ص ١٠٧.
  - (٦) نظام الملك: سياسة نامة، ص ٥، عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة، ص ٨٢.
  - (٧) محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام، مؤسسة الرسالة، ط ٦، ١٩٩٤م، ص ١٥٣.
  - (٨) محمد ماهر حمادة: نفس المرجع، ص ١٥٣، ١٥٤.
  - (٩) يحيى الخشاب: نظام الملك والمدارس النظامية، بحث بمجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، العدد الخامس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٥٦٧.
  - (١٠) نظام الملك: سياسة نامة، مقدمة المترجم، ص ٥.
  - (١١) نظام الملك: نفسه، ص ١٧.

وكان نظام الملك يميل إلى الشعر، ويقرب إليه الشعراء، ويغدق عليهم الأموال<sup>(١)</sup>، وتزخر "دمية القصر" للباخرزى، بمدح الوزير<sup>(٢)</sup>.

ومن شعراء خراسان الذين شملهم نظام الملك برعايته الشاعر أبو نصر أحمد إبراهيم الطالقاني<sup>(٣)</sup>، وله فى مدح نظام الملك.

وخوطف فى الوزارة من تناهى إليه المجد واجتمع الفخار  
نظام الملك ملك أبى شجاع وزير يشق له غبار  
يعضد الدولة الملك المفدى على ماضى الملوك به افتخار<sup>(٤)</sup>

ولقد كان نظام الملك نفسه شاعراً ومن شعره

بعد الثمانين ليس لى قوة لهفى على قوة الصبوة  
كأننى والعصا يكفى موسى ولكن بلا نبوة<sup>(٥)</sup>

ومن شعره أيضاً

محاذرتك عدو صديقك جائزة  
ولك فى صحبة أصدقاء صديقك خير  
ولا تأمن من الناس لطائفتين  
أصدقاء عدوك وأعداء صديقك<sup>(٦)</sup>

كذلك كان علم الفلك والتنجيم من العلوم التى اهتم بها الوزير نظام الملك، فقد جمع جماعة من العلماء المتخصصين فى علم الفلك، لتنظيم التقويم الفارسى

(١) محبوبة: نظام الملك، ص ٢٥٥.

(٢) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٨٢.

(٣) الباخرزى: دمية القصر، ج ٢، ص ١٥٥.

(٤) الباخرزى: نفس المصدر ونفس الصفحة.

(٥) الأصفهاني: عماد الدين الأصفهاني، ت (٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، خريدة القصر وجريدة

العصر، تقديم وتحقيق د. عدنان محمد آل طعمة، ٣ أجزاء، ط ١، نشر مرآة

التراث، طهران، إيران، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ج ٢، ص ٤٠.

(٦) نظام الملك: سياسة نامة، ص ٢٠٧.

وإصلاحه، وأُمر عملهم التقويم المعروف باسم "التقويم الجلالى" نسبة إلى السلطان جلال الدين ملكشاه<sup>(١)</sup>، ومن هؤلاء العلماء علماء خراسان عمر بن إبراهيم الخيام النيسابورى ت ٥١٧هـ / ١١٢٥م<sup>(٢)</sup>، وأبو المظفر الأسفزارى ت ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م<sup>(٣)</sup>.

ومن منجمى خراسان الذين شملهم نظام الملك برعايته، الحكم الموصلى وهو من طبقة المنجمين فى نيسابور، وكان فى حاشية الوزير، وكان الوزير يستشيره فى مهمات الأمور ويسأله الرأى والتدبير<sup>(٤)</sup>.

وفى عهد السلطان بركيارق (٤٨٦ - ٤٩٨هـ / ١٠٩٣ - ١١٠٤م) كان وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك ت ٤٩٤هـ / ١١٠٠م يمتاز بالكفاءة ورجاحة العقل والفصاحة والبلاغة، يجيد النثر والنظم باللسانين الفارسى والعربى، ويبدى فى ذلك بلاغة وطلاقة<sup>(٥)</sup>، ومن شعره

قالوا أتى العيد مفتر الثغور فخذ  
خط السرور فهذا موسم الطرب  
فقلت والقلب فى أيدى الفراق لقى  
ومقلة العين تبكى من دم سرب  
كيف السرور لنائى الدار مكثب صب  
بعيد عن الأوطان مغترب<sup>(٦)</sup>

(١) نظامى العروضى: جهار مقاله، حواشى المقالة الثالثة، ص ١٥٧، عبد النيم حسنين: إيران والعراق، ص ١٨٥.

(٢) أحمد كمال الدين حلمى: عمر الخيام عصرًا وبيئةً ونتاجًا، ط١، الناشر مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، طبعة مكتبة الخانجى، القاهرة ت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٨٧، أربرى: تراث فارسى، ترجمة محمد كفاى، السيد يعقوب، أحمد محمود الساداتى، محمد خفاجة، مراجعة يحيى الخشاب، مكتبة عيسى الحلبي، ١٩٥٩م، ص ٢٧٧.

(٣) البيهقى: على بن زيد محمد بن الحسين، ت ٥٦٥هـ / ١١٧٠م، تاريخ حكماء الإسلام، تقديم وتحقيق ممدوح حسن محمد، ط١، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ص ١٤٤.

(٤) نظامى العروضى: جهار مقالة، المقالة الثالثة، ص ٦٨.

(٥) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ١٩٦.

(٦) الأصفهانى: خريدة القصر وجريدة العصر، ج ٢، ص ٤١.

كذلك كان للوزير "سعد الملك الأوجي" وهو ممن وزر للسلطان بركيارق<sup>(١)</sup> اهتمام كبير بالعلم والعلماء وكان حريصاً على حضور مجالس العلم، ليرغب الناس فيه<sup>(٢)</sup>.

وفي عهد السلطان سنجر بن ملكشاه (٤٩٠ - ٥٥٢هـ / ١٠٩٦ - ١١٥٧م) تجلت نهضة ثقافية شملت العلوم والآداب<sup>(٣)</sup>، ويرجع ذلك إلى إتخاذه خراسان مقراً له ومن مرو عاصمة لدولته<sup>(٤)</sup>، مما جعل كبرى مدن خراسان والمشرق من أهم مراكز الثقافة خلال ذلك العصر فقد صار إقليم خراسان في عصره مقصداً للناس جميعاً، ومنهلاً للعلوم، ومنبعاً للفضائل، ومعدناً للفضل والعلم، وكان سنجر يحترم علماء الدين احتراماً كبيراً ويتقرب إليهم تقرباً تاماً، ويميل ميلاً كاملاً إلى الزهاد والعباد، ويختلي بهم<sup>(٥)</sup>. ولقد تجلّى تأثير الأدب الفارسي بالأدب العربي في عصر السلطان سنجر، فيقول النظامي في العروضي ٥٥٢هـ / ١١٥٧م، أن الكاتب الجيد هو الذي يستفيد من كل علم وعالم وحكيم وأديب سابق عليه<sup>(٦)</sup>، وكان النظامي العروضي من الكتاب المعاصرين للسلطان سنجر وكان قد اتصل به عندما كان مقيماً عند حدود طوس بخراسان سنة ٥١٠هـ / ١١١٦م<sup>(٧)</sup>.

وممن وزر للسلطان سنجر الوزير شهاب الإسلام عبد الرازق بن الفقيه عبدالله ابن علي ابن أخي نظام الملك ت ٥١٥هـ / ١١٢١م، وكان من فقهاء نيسابور ومن لهم الرياسة الدينية فيها<sup>(٨)</sup>، وكان متبحراً في علم الشرع، متكلماً في الأصل والفروع<sup>(٩)</sup>، ومن عاصروا شهاب الإسلام من الشعراء الشاعر أبو عبدالله

(١) خواندمير: دستور الوزراء، ص ١٧١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٧٧.

(٣) محمد محمود إدريس: سلطان السلاجقة الأعظم، ص ١٢٤، يحيى الوزنة: الدولة السلجوقية، ص ٢١٤.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ١٧٨، الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٧.

(٥) الرواندي: راحة الصدور، ص ٢٦٠.

(٦) جهاز مقالة، ص ٢٣، محمد محمود إدريس: المرجع السابق، ص ١٢٥.

(٧) النظام العروضي: جهاز مقالة، ص ٧، يحيى الوزنة: المرجع السابق، ص ٢٦٠.

(٨) عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة، ص ٣٥٣.

(٩) البنداري: آل سلجوق، ص ٢٤٥، خواندمير: المصدر السابق، ص ٢٧٦.

محمد بن عبد الملك المعزى ٥٤٢هـ / ١١٤٧م، أمير الشعراء، ومن قصيدة فى مدحه:

### شهاب الدين المسلم وأثير الأنام ومن يفوق بقدرة الشهاب وفلك الأثير<sup>(١)</sup>

وكان الوزير معين الدين أبو النصر بن أحمد الكاشى "وزير السلطان سنجر اهتمام كبير بالعلم والعلماء، حيث أمر ببناء المدارس والخوانق والأربطة والمؤسسات الخيرية فى جميع البلاد<sup>(٢)</sup>.

كذلك كان للوزير "نصير الدين أبو القاسم محمود بن أبى توبة المروزى" وهو ممن وزر للسلطان سنجر اهتمام كبير أيضا بالعلم والعلماء، فقد كان نصير الدين نفسه من الكتاب المهرة ومن مشجعى العلماء والأدباء<sup>(٣)</sup>، ولقد خصه العلماء بمصنفاتهم، فصنف له عمر بن سهلان الساوجى كتاب "البصائر النصرية"<sup>(٤)</sup> ومن شعراء الفارسية أوجد الدين محمد بن إسحق الأنورى المتوفى بين سنتى ٥٨٥ - ٨٨٧هـ / ١١٨٩ - ١١٩١م، وقد امتدح نصر الدين المروزى بقصيدة منها:

وزير ملك السلطان المعظم  
نصير دين الله ورسوله  
محمود، دنيا الحمد  
ذاك الذى اقتبس الدنيا من جاهة حمدها  
أنت مخدم الأنورى القديم<sup>(٥)</sup>

أما الوزير "قوام الدين أبو القاسم بن حسن الدرگزىنى" ت ٥٢٧هـ / ١١٣٢م، وهو ممن وزر للسلطان سنجر أيضا، فقد كان على علم تام ببعض فنون

(١) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٣٥٤.

(٢) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٨٠.

(٣) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٣٨٥.

(٤) البندارى: آل سلجوق، ص ٢٤٦، خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٨٣.

(٥) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٣٨٦، ٣٨٧.

الفضائل مثل الشعر والإنشاء، ولذا اهتم بالشعراء فشملمهم بعناية وإحسانه<sup>(١)</sup>.  
فنظم الشعراء إشعاراً في مدحه، وللمعزى ثلاث قصائد في مدحه<sup>(٢)</sup>.

هكذا بفضل رعاية واهتمام السلاطين والوزراء بالحياة الفكرية في إقليم خراسان، زخرت مدن وقرى هذا الإقليم بالعلم والعلماء ومؤلفاتهم، بكافة ألوانها ومذاهبها، وأصبح هذا الإقليم مركزاً من مراكز الإشعاع الثقافي الذي بثه في الأقاليم المجاورة.

---

(١) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٨٧.

(٢) عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة، ص ٣٩٤.

## ثانياً: الصراع السنى السنى

كان الصراع السنى السنى، وما خلفه علماء مذاهب السنة المختلفة من مؤلفات علمية، تشهد تعصب مذهب معين للرد على مذهب مخالف، أثرى الحياة الفكرية بالكثير من المؤلفات العلمية لنصرة هذا المذهب أو ذاك.

كما كان للعلماء المنتمين إلى المذاهب الأربعة دور عظيم فى تنشيط الحركة الفكرية فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى، تمثل فى إنشاء المدارس الشافعية، والحنفية، والحنبلية، فكان لكل مذهب مدارس المعروفة، فكان رجال الأمة الحريصون على مصالح الإسلام جادين فى العمل على دعم النشاط العلمى والثقافى، وإشاعة العلوم الشرعية، وتبنى استخدام المنطق والجدل وعلم الكلام للدفاع عن عقيدة أهل السلف. وقد أدى ذلك إلى انتعاش علمى هائل تمثل فيما ظهر من المؤلفات العلمية المختلفة للدفاع عن العقيدة وشرح أصولها، وإبراز وجهات النظر الفقهية المذهبية، وإخراج تراجم لرجالها، والكتابة عن مناقب شيخ المذهب<sup>(١)</sup>.

وكان الصراع السنى السنى فى ذلك العصر، من وسائل ترويج سوق الثقافة، وأوضح دليل على صحة ذلك الآثار العلمية الوفيرة التى خلفها علماء مذاهب السنة المختلفة<sup>(٢)</sup>.

لقد كان العصر السلجوقى من أهم العصور التى اشتدت فيها الخلافات الدينية والعقائدية، وراجت فيها العلوم الدينية، وتدخل فيها العلماء والفقهاء بل والوزراء المذهبيون فى شئون السياسة والحكم مما تسبب عنه انحراف العلم عن محوره الحقيقى وهو البحث عن حقائق الأشياء، وأدى ذلك إلى ضيق النظر، وجعل الفلسفة والحكمة تابعين لمجادلات أصحاب المذاهب ومناظرتهم<sup>(٣)</sup>.

(١) مريزن عسىرى: الحياة العلمية فى العراق فى العصر السلجوقى، ص ١٥١، ١٥٢.

(٢) عبد النعيم حسانين: إيران والعراق فى العصر السلجوقى، ص ١٨١، ١٨٢، رشاد معتوق: الحياة العلمية فى العراق فى العصر البويهى، ص ٩١، ٩٢.

(٣) قاسم غنى: تاريخ تصوف دار إيران، طبعة طهران، ١٣٦٢هـ، ١٣٢٢هـ، ش، ص ٤٦٤، ٤٦٥، أحمد كمال حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، دار البحث=

ولذلك ساد الاضطراب الديني والمذهبي طوال العصر السلجوقي، وكثر المتعصبون لمذهب معين مما أدى إلى ظهور الصراع المذهبي السنّي السنّي.

كان السلاجقة مسلمون على المذهب الحنفي فتعصبوا له، واختصوا العلماء من أصحاب أبي حنيفة بالعطف والرعاية بحيث استقرت محبتهم في قلوب الناس جميعاً<sup>(١)</sup>.

وكان الخليفة العباسي سنيا شافعيًا وقت دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م<sup>(٢)</sup>، وقد تعصب السلاجقة لمذهب أهل السنة على المذهب الحنفي، وكانت لهم طرقهم الخاصة للدفاع عن السنة، وجلب الناس إلى حظيرتها، وغالبا ما اعتمدت هذه الطرق على العنف والقمع والتهديد بالموت، ونادرا ما اتخذت من الحجّة وسيلة<sup>(٣)</sup>.

ولقد رأى سلاطين السلاجقة أن الخليفة هو خليفة رسول الله ﷺ، والمصدر الروحي الذي يمنح الحكومات صفتها الشرعية لذا بالغوا في احترامه ونصرته وتأييده<sup>(٤)</sup>. وكانوا مخلصين لخليفة رسول الله ﷺ الذي يستمد حكمة من الله (نظرية الحق الإلهي في الحكم) في نظرهم، فقلدوه في استمداد حكمهم أيضا من الله تعالى<sup>(٥)</sup>.

=العلمية، الكويت، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، ص ٢١٥، حسين أمين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ط مكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٦٥م، ص ٢٥.

(١) ابن بي بي: العلامة يحيى بن محمد (من مؤرخي القرن السابع الهجري) سلجوق نامة، ترجمة محمد ذكريا، مائل ط ١، جولاني، نشر إشفاق أحمد، كلبرك، لاهور، ١٩٤٥م، وقد اختصر هذا الكتاب تحت اسم مختصر "سلجوق نامة" ترجمة محمد السعيد جمال الدين تحت عنوان "أخبار سلاجقة الروم" نشر مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٤: ٨.

(٢) البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي، ت ٤٦٢هـ، / ١٠٧٠م، تاريخ بغداد أو "مدينة السلام" ط ١، عدة أجزاء دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج ١١، ص ٢٤٩، مصطفى جواد: المدرسة النظامية ببغداد، مقال منشور بمجلة سومر ببغداد، الجزء الثاني من المجلد التاسع، ١٩٥٣م، ص ٣١٨، ٣١٩.

(٣) سهيل ذكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ط ٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م، ص ١٢١.

(٤) أحمد كمال حلمي: السلاجقة، ص ٢١٦.

(٥) الرواندي: راحة الصدور، ص ١٩٧.

ولقد بدأ الصراع السنى السنى فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى  
٤٤٥هـ/١٠٥٣م، عندما دخل طغرل بك مدينة نيسابور الشافعية، حيث وقف على  
مقالات الأشعرى<sup>(١)</sup>.

لأبى الحسن الأشعرى الشافعى ت(٣٢٤هـ/١٩٣٥م)<sup>(٢)</sup>، فأقر بلعن  
الأشعرى على المنابر فى خراسان كلها، وعلق على مقالات الأشعرى بقوله "إن  
هذا يشعر بأن ليس لله فى الأرض كلام"<sup>(٣)</sup>، فعز ذلك على أبو القاسم عبد  
الكريم بن هوازن القشيرى<sup>(٤)</sup> ت ٤٦٥هـ/١٠٧٢م، فصنف رسالة سماها "شكاية  
أهل السنة لمانالهم من المحنة" وقال فيها "أيلعن إمام الدين ومحى السنة"، وأنكر  
أصحاب الأشعرى أن ينسب إليه ما قاله طغرل بك وقالوا "هذا محال وليس بمذهب  
له"، فقال طغرل بك، إنما نوعز بلعن الأشعرى الذى قال هذه المقالات فإن لم تدينوا

(١) الأشعرى: بفتح الألف وسكون الشين المعجمة، وفتح العين المهملى وكسر الراء، هذه  
النسبة إلى أشعر وهى قبيلة مشهورة من اليمن، والأشعر هو نبت بن أدبدين زيد بن  
يشجب عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، وقيل أشعر لأن أمه ولدته والشعر على كل  
شئ منه فسمى الأشعرى. السمعانى: الأنساب ج ١، ص ١٧٣. المقرئى: تقى الدين  
أحمد، ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جزءان، بولاق،  
القاهرة، ١٢٧٠م، ج ٢، ص ٣٥٨.

(٢) أبى الحسن الأشعرى: هو أبو الحسن على بن إسماعيل بن أبى بشر اسحاق بن إسماعيل  
ت ٣٢٤هـ/٩٣٥م، وحقيقة مذهبه أنه سلك طريقا بين النفى الذى هو مذهب الاعتزال،  
وبين الإثبات الذى هو مذهب أهل التجسيم، وناظر على قوله هذا، واحتج لمذهبه،  
فمال إليه جماعة، وعولوا على رأيه، ولقد صعد الأشعرى على منبر جامع البصرة وبرأ  
نفسه من الاعتزال بقوله "كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يرى بالأبصار، وأن العباد  
يخلقون أفعال الشر، وها أنا تائب من الاعتزال". لمزيد من التفاصيل راجع ابن خلكان.  
وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٨٤: ٢٨٦، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٢،  
ص ٣٠٣: ٣٠٥.

(٣) ابن تغرى بردى: أبو المحاسن جمال الدين يوسف، ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م، النجوم  
الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، عدة أجزاء، ط دار الكتب المصرية، ١٩٣٣، ج ٥،  
ص ٥٤.

(٤) القشيرى: بضم القاف وفتح الشين المعجمة وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنين وفى  
آخرها الراء هذه النسبة إلى بنى قشر. السمعانى: الأنساب، ج ٤، ص ٤٠٨.

بها، ولم يقل الأشعري شيئاً منها فلا عليكم مما نقول ولا يلحقكم ضرر مما نصنع<sup>(١)</sup>، فقالوا الأشعري لم يقل هذا، ودخل القشيري ومعه مجموعة من الشافعية يستعطفون طغريك بوقف لعن الأشعري، فرفض وقال "الأشعري عندي مبتدع يزيد على المعتزلة"<sup>(٢)</sup> لأنهم اثبتوا أن القرآن هو المصحف وهو نفاه فقال القشيري "قولهم أن مذهب الأشعري أن القرآن لم يكن بين الدفتين، وليس القرآن في المصحف إنما هو تشنيع فظيع، وتلبيس على العوام، إن الأشعري وكل مسلم غير مبتدع يقول أن القرآن كلام الله، وهو مكتوب في المصاحف على الحقيقة لا على المجاز"<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٨، ص ١٥٩، ١٦٠.  
(٢) المعتزلة: تنسب المعتزلة إلى مؤسسها واصل بن عطاء وكان تلميذاً "للحسن البصري" وذلك حين اختلف معه واصل في مسألة مرتكبي الكبائر بقوله: أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً، ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد هو وبعض من وافقه على ذلك الرأي، فقال الحسن البصري "اعتزل عنا واصل، فسمى هو وأصحابه معتزلة. الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م، الملل والنحل تحقيق د. محمد سيد كيلاني، جزءان في مجلد واحد، ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م، ج ١، ص ٤٨، زهدى حسن جار الله: المعتزلة، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٢.

والمعتزلة: يسمون أصحاب العدل والتوحيد، العدل على مذهب السنة أن الله تعالى عدل في أفعاله، بمعنى أنه متصرف في ملكه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وعلى مذهب أهل الاعتزال: العدل ما يقتضيه العقل من الحكمة، وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة، أما التوحيد على مذهب أهل السنة وجميع الصفاتية: أن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وقال أهل العدل والاعتزال: أن الله تعالى واحد في حد ذاته، لا قسمة ولا صفة له، وواحد في أفعاله لا شريك له، فلا قديم غير ذاته، ولا قسيم في أفعاله، ومحال وجود قديمين، ومقدور بين قادرين، وذلك هو التوحيد عندهم. الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٤٢، محمد أحمد خضر: الفرقة والإسلام بين الشيعة وأهل السنة، دار الكتب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٢٠٣، ٢٠٤.

(٣) سبط ابن الجوزي: أبو المظفر شمس الدين قزو أغلى، ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٥٥١ تاريخ، ميكروفيلم رقم ٦٤٣٥، ورقة ٧.

والسؤال الآن: هل أمر طغرلبك بلعن الأشعري من نفسه؟ أم كان هناك محرض وراء عملية اللعن هذه؟ الحقيقة أن طغرلبك البدوي التركي الذي كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب إلا بصعوبة وكانت لغته العربية ضعيفة، كل ذلك يؤكد أن طغرلبك الحنفى المذهب لم يكن وراء عملية اللعن هذه، وإنما هناك شخص آخر دفعه إلى ذلك، وهذا الشخص هو وزيره عميد الملك الكندري الحنفى المذهب، الذى كان يبالغ فى اهتمامه بأئمة المذهب الحنفى، كما كان شديد التعصب على الشافعية<sup>(١)</sup>، وهو الذى أوعز إلى طغرلبك بلعن الأشاعرة والرافضة (الشيعة) وأعتبر الأشعري منهم وأذى بعض أعيان الأشعرية الشافعية كالإمام أبى القاسم القشيري، وأمام الحرمين أبى المعالى الجويني<sup>(٢)</sup> ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م، وسبهم على منابر خراسان، ففارقوها، وأقام الجويني بمكة أربع سنوات يدرس هناك إلى أن توفى الكندري سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م، ولذلك لقب بإمام الحرمين، ودخل على الناس من ذلك أمر عظيم، وأثار همة صلحاء المسلمين<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٣٨.

(٢) أبى المعالى الجويني: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيوة الجويني النيسابوري، إمام الحرمين، أبو المعالى ولد الشيخ أبى محمد من أهل نيسابور وجوين قرية من قرى نيسابور ولد سنة ٤١٩هـ / ١٠٢٨م، وتفقه فى صباه على والده وله دون العشرين سنة، ولما مات أبوه جلس مكانه فى التدريس، كما درس على يد أبى القاسم الاسكافى الإسفرايينى بمدرسة البيهقى، ثم سافر إلى بغداد لتعلم، وخرج إلى مكة وجاور البيت أربع سنوات يفتى ويعلم، ولهذا قيل إمام الحرمين، ثم عاد إلى نيسابور فى عهد ألب رسلان، ووزيره نظام الملك الذى بنى له المدرسة النظامية فى نيسابور، وجلس للوعظ والتعليم فيها، وله تصانيف كثيرة منها " العقيدة النظامية " وغيات الأمم ومغيث الخلق، ولما مرض نقل إلى قرية بشتقان من نواحى نيسابور موصوفة باعتدال الهواء، فتوفى سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م، ونقل إلى نيسابور ودفن فى داره، ثم =نقل بعد سنتين إلى مقبرة الحسين، فدفن بجوار أبيه، وصلى عليه ولده أبو القاسم، وجلس الناس لعزائه، كما أكثر الشعراء فى مرثيته حتى أن تلاميذه الأربعمائة يومئذ كسروا أقلامهم ومحابرهم كما كسروا منبره فى الجامع. ابن الجوزى: المنتظم، ج ٩، ص ١٨ : ٢٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٦٨ : ١٧١. ابن هداية طبقات الشافعية، ١٧٤ : ١٧٦.

(٣) القزويني: آثار البلاد: ص ٤٤٧.

ولنا أن نتساءل ما هو الدافع الذي كان وراء تحريض عميد الملك الكندري لطغرلبك على لعن الأشاعرة؟ يرى بعض الباحثين أن الكندري كان حنفيا متعصبا فصب جام غضبه للسلطان على من خالفهم في المذهب<sup>(١)</sup>. ويرى البعض الآخر أن الكندري خاف على منصبه من منافسه اللدود أبي سهل بن الموفق النيسابوري الأشعري المذهب<sup>(٢)</sup>.

الخصومة إذا بين الكندري والأشعرية خصومة سياسية مذهبية سببها المنافسة بينه وبين أبي سهل بن الموفق على الوزارة وهذا الخصم أشعري شافعي يجتمع حوله العلماء، فلما لا يسعى الكندري إلى التنديد بالشافعية والأشعرية حتى ينال من خصمه عند السلطان<sup>(٣)</sup>، خاصة وأن أسرة أبي سهل كانت على صلة فيما يبدو بطغرلبك، إذ يذكر بعض المؤرخين أن الذي رشح الكندري لطغرلبك هو الموفق والد أبي سهل<sup>(٤)</sup>.

ولقد اتهم السبكي<sup>(٥)</sup> عميد الملك الكندري بأنه رافضى بل اتهمه بالكرامية<sup>(٦)</sup>، ولكن الجمع بينهما محال عقلا ونقلًا

(١) عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة، ص ٥٤، حسين أمين: تاريخ العراق، ص ٢٥، ٢٦.

(٢) مصطفى جواد: المدرسة النظامية، ص ٣١٨، ٣١٩.

(٣) عبد المجيد أبو الفتوح بدوي: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد، الطبعة الثانية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ١١٢.

(٤) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٣١، عباس إقبال: الوزارة، ص ٥٤.

(٥) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٣، ص ٣٩٠.

(٦) الكرامية: تنسب إلى أبو عبد الله محمد بن كرام، وكان مطرودا من سجستان إلى غرجستان وورد نيسابور في عصر الدولة الطاهرية ٢٠٥ - ٢٥٩هـ / ٨٢٠ - ٨٧٣م، وكثر أتباعه في نيسابور ودعاهم إلى تجسيم معبوده، وزعم أنه جسمه حدود نهاية من تحته واجهة التي منها يلاقي عرشه، ووصف معبوده أنه جوهر، وقد ذكر أن الله تعالى مماس لعرشه، وأن العرش مكان له، وأبدل أصحابه لفظ المماس، بلفظ الملاقاة منه للعرش وقالوا: لا يصح وجود جسم بينه وبين العرش إلا بأن يحيط العرش إلى أسفل، واختلف أصحابه في معنى الاستواء المذكور في قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى»=

لاختلافهما<sup>(١)</sup>، بل زاد وقال أن الكندري كان يميل إلى المعتزلة بقوله " واستعان عميد الملك الكندري بطائفة من المعتزلة، الذين زعموا أنهم يقلدون مذهب أبي حنيفة، وأشربوا في قلوبهم فضائح القدرية<sup>(٢)</sup>، واتخذوا التمدد بالمذهب الحنفي سياجا عليهم، فحببوا إلى السلطان الأزدراء بمذهب الشافعي عموما، وبالأشعرية خصوصا<sup>(٣)</sup>.

ويرى د. عبد الرحمن بدوي<sup>(٤)</sup>: أن عميد الملك لم يكن معتزليا ولا رافضيا وأن هجمته على الأشاعرة كانت دافعا سياسيا مذهبيا، وأن المعتزلة كانوا الفئة التي

=فمنهم من زعم أن كل العرش مكان له، وأنه لو خلق بإزاء العرش عروشا موازية لعرشه لصارت العروش كلها مكانا له، لأنه أكبر منها كلها، ومنهم من قال: أنه لا يزيد على عرشه في جهة الماسة، ولا يفضل منه شئ على العرش، وهذا يقتضى أن يكون عرضه كعرض العرش، وكان من الكرامية بنيسابور رجل يعرف بإبراهيم بن مهاجر ينصر هذا القول وينظر عليه، وقد زعمت الكرامية أيضا أن الله تعالى لو اقتصر على رسول واحد من أول زمان التكليف إلى القيامة وأدام شريعة الرسول الأول لم يكن حكيما، كما خاض الكرامية في باب الإمامة والإيمان والفقهاء منها قول ابن كرام في صلاة المسافر: أنه يكفيه تكبيرتان من غير ركوع ولا سجود ولا قيام ولا قعود ولا تشهد ولا سلام وهذا من حماقات ابن كرام، للمزيد انظر: البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد الاسفرايني التميمي ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م، الفرق بين الفرق: حققه وعلق حواشيه محمد محيي الدين بن عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ص ٢١٥ : ٢٢٥. الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٠٨ - ١١٣.

(١) مصطفى جواد: المدرسة النظامية، ص ٣١٨، ٣١٩، محمد عبد العظيم أبو النصر: نظم الحكم وأهم مظاهر الحضارة في دولة الأتراك السلاجقة عصر السلاطين العظام (٤٢٩ - ٤٨٥هـ / ١٠٣٧ - ١٠٩٢م، رسالة دكتوراة غير منشورة، آداب الزقازيق، ١٩٩٥م، ص ٤٥١.

(٢) القدرية: سمو بذلك لأنهم زعموا أن الله تعالى غير خالق لأكساب الناس ولا لشيء من أعمال الحيوانات، وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون على كسب أرزاقهم، وليس الله عز وجل هو الذى يكسبهم إياه ولا فى أعمال سائر الحيوانات صنع وتقدير، ولأجل هذا القول ساهم المسلمون قدرية. البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ١١٤، ١١٥.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٣، ص ٣٩١.

(٤) عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسى والفكرى، ص ١١٣.

يمكن الاستعانة بها في حروب الأشاعرة لسببين: الأول لأنهم الأعداء التقليديون للأشاعرة، ولهم قدرتهم على الجدل والمناظرة. والثاني: أن معظم المعتزلة في خراسان كانوا أحنافا فهم من الناحية المذهبية المحضة كانوا أعداء الأشاعرة الذين يشكلون جمهور الشافعية.

وهكذا بدأت الفتنة في خراسان بين المعتزلة والأشعرية سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م، تلك الفتنة التي قال فيها السبكي<sup>(١)</sup>: "هي الفتنة التي طار شرها فملاً الآفاق، وطال ضررها فشمّل خراسان، والشام، والحجاز، والعراق، وعظم خطبها وبلاؤها، وقام بها في سب أهل السنة خطيبها وسفهاؤها، إذ أدى الأمر إلى التصريح بلعن أهل السنة في الجمع، وتوظيف سبهم على المنابر". فقد حمل عميد الملك السلطان طغرلبيك على إصدار أمره بالقبض على رؤساء الأشعرية في خراسان. وكان أبو سهل الموفق رئيس الأشعرية في ذلك الوقت غائبا فنجا من القبض، وأحس إمام الحرمين بالأمر فاختمى وخرج إلى الحجاز<sup>(٢)</sup>، وقبض على أبي القاسم القشيري وآخرون، ومكثوا في السجن ما يقرب من شهر، إلى أن عاد أبي سهل إلى نيسابور فجمع رجاله وأعوانه، وهاجموا السجن وأخرجوا أبي القاسم القشيري ومن معه من الأشاعرة، فأغضب هذا الأمر طغرلبيك، وأمر بالقبض على أبي سهل عليه فقبض عليه وسجن، وصودرت أمواله وضياعه، ثم أفرج عنه وخرج، وذهب للحج<sup>(٣)</sup>.

وبعد ذلك جرى استفتاء، حول رأى الأئمة الأجلة في ذلك، وأرسلوه إلى بغداد، فلم يبق حنفي ولا شافعي إلا وبالغ في الكتاب، وعظمت عليه هذه الرزية، فأصدروا فتواهم، وعندما وصل الخبر إلى البيهقي ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م<sup>(٤)</sup>،

(١) السبكي: طبقات الشافعية، ص ٣٩١.

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٠٢.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٣، ص ٣٩٢، ٣٩٣، بدوى: التاريخ السياسى، ص ١١٣.

(٤) البيهقي: أحمد بن الحسن بن على بن عبد الله بن موسى البيهقي ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م، كان أوحّد زمانه في الحفظ والإتقان حسن التصنيف وجمع علم الحديث والفقّه والأصول وله التصانيف الكثيرة الحسنة، وجمع نصوص الشافعي في عشر مجلدات، ورد نيسابور مرارا بها توفى ونقل تابوته إلى بيهق. ابن الجوزى: المنتظم، ج ٨ ص ٢٤٢.

كتب إلى عميد الملك الكندري كتابا دافع فيه عن الأشعرية وأظهر فضل الأشعري<sup>(١)</sup>.

ومع هذا الاحتجاج من جانب العلماء المفكرين، فقد ظلت الفتنة قائمة وعلماء الأشعرية مشردين عن أوطانهم حتى توفى طغرلبيك عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، وتولى بعده ابن أخيه ألب أرسلان، وكان قد أخذ لنفسه وزيرا شافعيًا هو أبو علي الحسن ابن عل بن إسحاق الطوسي الملقب بنظام الملك<sup>(٢)</sup>، فأمر بقل الكندري، وإنشاء المدارس النظامية، وأمر الخطباء بالتوقف على سب الأشعرية، وأمرهم بالاستمرار في لعن الرافضة (الشيعة)، وأرضى بذلك جماعة كبار الفقهاء، وأحضر من انتزع من الأشاعرة وأكرمهم وأحسن إليهم<sup>(٣)</sup>.

ويتضح مما سبق مدى الصراع المذهبي السني السني، خاصة بين المذهبين الشافعي، والحنفي، مما أدى إلى أن تحولت السنة إلى طائفة كبيرة أغلق منها باب الاجتهاد، فزال الإبداع من بين صفوفها واختفى أعلام الفكر والكبار، وكم كان خطيرا أن تفقد السنة حيويتها، وإبداعاتها، وتنقلب إلى محافظة وقياس بحت، وتتحول كتبها إلى شروح وحواش ليس أكثر<sup>(٤)</sup>.

وكانت المنافسة والجدال خطيرا بين أهل السنة حول تفضيل المذهب الشافعي على الحنفي، أو العكس، أو حول تفضيل هذين المذهبين على سائر المذاهب، كما كان الجدال يدور أحيانا حول اختلافات العلماء ومجادلاتهم المذهبية التي تملأ خراسان وغيرها من البلاد الإسلامية، وهي خلافات فقهية حول الفروع، بل كانت المناظرات تعقد في المساجد ومجالس العلم، فالكل يتقرب إلى الله بالدفاع عن

(١) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٣، ص ٣٩٥، زهدى جار الله: المعتزلة، ص ٢١٦.

(٢) عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري، ص ١١٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ١٠ وما بعدها، عقيلي: آثار الوزراء، ص ٢٠٧.

(٤) سهيل ذكار: مدخل إلى الحروب الصليبية، ص ١١٢، محمد عبد العظيم: نظم الحكم وأهم مظاهر الحضارة في دولة الأتراك السلاجقة، رسالة دكتوراة غير منشورة، آداب الزقازيق، ١٩٩٥م، ص ٤٥٢.

مذهبه، وبالأدلة التي يراها تدعمه، حتى أن المآتم كانت ساحة للمناظرات، فإذا توفي أحد الفقهاء، أو توفي أحد من ذوى الشأن كان مآتمه سوقا للمناظرات التي تقام في مسجد حيه، وقد انعكست هذه الخلافات في كتب الفقه<sup>(١)</sup>.

وقد راجت المذاهب السنية الأربعة في العصر السلجوقي رواجاً كبيراً في كل دولتهم، وإن كان المذهب الحنفي والشافعي قد راجا في إيران أكثر من غيرها وخاصة في أقاليمها الشرقية كخراسان وغيرها<sup>(٢)</sup>. وكان السلاجقة أحنافاً كما أشرنا سابقاً، وكان وزراءهم ما بين شافعي وحنفي، وكان السلاطين والوزراء يولون اهتمامهم أئمة الشافعية (الأشاعرة) أو الحنفية، وكان كل مذهب يصوغ الأحكام، ويصدر الفتاوى طبقاً للمذهب الذي يتبعه<sup>(٣)</sup>.

وكان الجدل يدور بين أصحاب ومعتنقي هذه المذاهب، وكان أشد أنواع النزاع بين الفرق السنية يتمثل في النزاع بين الأشاعرة والحنابلة، فالأشاعرة يرمون الحنابلة بأنهم لم يأتوا بشيء، بل اتبعوا منهج السلف والصحابة والتابعين<sup>(٤)</sup>.

ففي سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م، قامت الفتنة بين الحنابلة والأشعرية حينما دخل القشيري بغداد، بعد رحيله من نيسابور، فجلس في المدرسة النظامية يعظ الناس وينصر مذهب الشافعي الأشعري، وكثر أتباعه فتضايق الحنابلة، وقصدوا سوق المدرسة النظامية، وقتلوا جماعة، فغضب أبو إسحاق الشيرازي الذي سائد القشيري، وكاد يفارق بغداد لولا تدخل الخليفة العباسي المقتدى<sup>(٥)</sup>.

وتجدد الصراع بين الفريقين في خراسان، حينما اشتكى أهل خراسان للسلطان ألب أرسلان من أبو إسماعيل الأنصاري الهروي الحنبلي ت ٤٨١هـ/١٥٨٨م<sup>(٦)</sup> فحضر السلطان بنفسه ومعه وزيره أبو علي الحسن بن علي

(١) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ج ٢، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون، ص ٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) محمد عبد العظيم: نظم الحكم، رسالة دكتوراة، غير منشورة، ١٩٩٥م، ص ٤٥٢.

(٣) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة، ص ٢١٦.

(٤) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ج ٢، ص ٢٥٤.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٤١٣.

(٦) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٦٥.

بن إسحاق "نظام الملك" إلى هراة، فاجتمع أئمة الفريقين الحنفية والشافعية للشكوى من الانصاري ومطالبته بالمناظرة فاستدعاء الوزير فلما حضر قال: أن هؤلاء قد اجتمعوا لمناظرتك فإن يكن الحق معك رجعوا إلى مذهبك "الحنبلي"، وإن يكن الحق معهم فإما أن ترجع أو تسكت عنهم<sup>(١)</sup>، فقام الأنصاري وقال: أنا أنظر على ما في كمي. فقال له: وما في كمي؟ فقال: كتاب الله، وأشار إلى كمي اليمين وسنة رسول الله ﷺ، وأشار إلى كمي الأيسر، وكان فيه الصحيحان، فنظر الوزير إلى القوم، كالمستفهم لهم فلم يكن فيهم من يمكنه أن يناظره<sup>(٢)</sup>.

وقد أدت هذه المناظرات والمحاورات والمجادلات، والتعصب بين فرق أهل السنة، إلى تحريك العامة وإثارتهم وإبراز تعصبهم<sup>(٣)</sup>، كما حدث عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م حينما قام أهل هراة بإثارة السلطان ألب أرسلان ووزيره نظام الملك ضد أبو إسماعيل الأنصاري الحنبلي، مما اضطر السلطان ووزيره إلى إبعاد وأهله وخدمته، إلى ما وراء النهر، وأخرج الأنصاري ومن كان يعقد المجالس من أقاربه خاصة إلى مرو، ثم إلى بلخ، فمرو الروذ، ثم أذن له في الرجوع إلى هراة، فعاد إليها عام ٤٨٠هـ/١٠٨٧م، وكان يوما مشهودا<sup>(٤)</sup>، مما يدل على انتصار الحنابلة في هذه الجولة.

ولكن لم يتسن للحنابلة وقت طويل للاحتفال بانتصارهم، إذا واجهوا تحديا جديدا من جانب الأشعرية متمثلا في المدارس النظامية والتي أنشأها نظام الملك حيث أعطت دفعة قوية لمذهب الأشعري، فقد أمكن لهذا المذهب أن يعلم رسميا، وأن تنفق الدولة على تعليمه وتتولى رعايته، كما أمكن علماء هذا المذهب أن

(١) الذهبي: أبو عبد الله شمس الدين محمد ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م، تذكرة الحفاظ ٤ أجزاء،

دار إحياء التراث العربي، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، بدون، ج ٣، ص ١١٨٧.

(٢) ابن رجب الحنبلي: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي

ثم الدمشقي الحنبلي ت ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م، طبقات الحنابلة، جزآن، دار إحياء الكتب

العربية، نشر فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون، ج ١، ص ٥٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٤١٣.

(٤) ابن رجب الحنبلي: المصدر السابق، ج ١، ص ٥٦.

يكونوا أساتذة هذه المؤسسات الفكرية، ولهذا كسب المذهب الأشعري الجولة الأخيرة في صراعه مع المذاهب المختلفة<sup>(١)</sup>.

وفي عهد السلطان سنجرت (٥٥٢هـ/١١٥٧م)، تغير الحال، فقد أخرج من المناصب في جميع الأنحاء الخاضعة له كل من لم يكن من أصحاب أبي حنيفة وأسندت المناصب إلى أصحاب أبي حنيفة، كما اختص بعناية أئمة المذهب الحنفي في خراسان وغيرها<sup>(٢)</sup>.

وقد تدخل سلاطين السلاجقة وزرائهم بصورة بشعة لنصرة طائفة على أخرى كما سبق، فأذوا فرق كثيرة، وقسوا على علماء أجلاء كالقشيري والجويني والأنصاري وغيرهم.

---

(١) عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري، ص ٥٧.

(٢) الرواندي: راحة الصدور، ص ٥٧.

### ثالثاً: الصراع السنّي الشيعي

لم يكن الصراع السنّي الشيعي وليد العصر السلجوقي، أو الذي قلبه، وإنما كان نتيجة ظروف وملابسات عقائدية وسياسية حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ، ولقد انتشر التشيع<sup>(١)</sup> في معظم بلدان العالم الإسلامي، وخاصة في بلاد خراسان<sup>(٢)</sup>، وعد الشيعة خلفاء بني العباس غاصبين للخلافة، واتهموهم بالتقاعس وعدم الاهتمام بالإسلام، والامتناع عن الدفاع عن حدود العالم الإسلامي<sup>(٣)</sup> وتمكن الشيعة من الظهور بكثرة وحرية حينما سيطر ملوك بني بوية الشيعة على مقدرات الأمور في بغداد<sup>(٤)</sup>، وبعد أن أصبح للفواطم الشيعة خلافة قوية تنافس الخلافة العباسية في القاهرة، والتي حاولت نشر مذهبها في معظم بلدان المشرق الإسلامي التي كانت بحوزة بني العباسي، مثل اليمن والعراق وبلاد الشام، وإيران وخراسان<sup>(٥)</sup>، عن طريق دعاة استطاعوا نشر المذهب الإسماعيلي<sup>(٦)</sup> في بعض

(١) التشيع: نسبة إلى الشيعة وهي لفظ يطلق على أتباع الرجل وأنصاره، فيقال فلان من شيعة فلان أي ممن يهوون هواه، أو كل قوم اجتمعوا على أمر فهم الشيعة، وكل من عاون إنساناً وتحزب له فهو شيعة له، وأصله من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة. الزبيدي: محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الحنفي ت ١٢٥٠هـ/ ١٧٩٠م، تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة بيروت، بدون ط مصر، ١٣٠٦هـ، ج ٥، ص ٤٠٥.

والشيعة هم الذين شايعوا على بن أبي طالب رضى الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته، نصا ووصية، إما جلياً أو خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة ويتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسول عليهم الصلاة والسلام إغفاله أو إهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله. الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٤٦.

(٢) أحمد الشامي: الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٢٥ - ٣٦.

(٣) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، طهران، ١٣٣٦ش، ج ٢، ص ٢١٥.

(٤) أحمد الشامي: المرجع السابق، ص ٧٣ وما بعدها.

(٥) المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ٥٨.

(٦) الإسماعيلية: سموا "بالإسماعيلية" نسبة إلى "إسماعيل" بن الإمام جعفر الصادق وهو =

أجزاء من العراق والشام وخراسان، وعاصر هذا الانتشار ظهور دولة الأتراك السلاجقة التي تعصبت لأهل السنة وخلفاء بني العباس، ودافعت عن المذهب السني مذهب الخلافة العباسية دفاعاً مستميتاً<sup>(١)</sup>. ويظهر ذلك جلياً سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، حينما أصبحت بغداد مدينة فاطمية شيعية لمدة عام كامل أثر

= أكبر أولاد الإمام الصادق، وكان يحبه حبا شديدا، حتى ظن قوم بأنه هو القائم بعد أبيه، ولكنه توفي ودفن بالبقيع بالمدينة المنورة. وقد حزن عليه أبوه حزنا شديدا. وتقدم إلى سريره بلا حذاء ولا رداء، وأمر بوضع سريره مرارا قبل دفنه، وكان يكشف عن وجهه وينظر إليه، ليؤكد بذلك أمر وفاته، لثلا يظن أنه هو الخليفة، ومع ذلك كله قالوا بإمامته. الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٩١. أبو مصعب البصري: أضواء على الفرق والمذاهب الإسلامية، ط ١، طبع حيدر النجفي، نشر انتشارات الشريف الرضي، ١٣٧٧هـ / ١٤١٩م، ص ٨٨، برنارد لويس: أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، راجعه وقدم له د. خليل أحمد خليل نظ ١، دار الحداثة، لبنان، ١٩٨٠م، ص ٦٩. ويقسم النوبختي والقمي من قال بإمامة إسماعيل بعد وفاة أبيه جعفر الصادق إلى فرقتين: فرقة زعمت أن الإمام بعد جعفر ابنه إسماعيل وأنكرت موت إسماعيل في حياة أبيه، قالوا كل ذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس، لأنه خاف فغيبه عنهم، وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض، ويقوم بأمر الناس، وأنه هو القائم. وهذه الفرقة هم الإسماعيلية الخالصة.

وفرقة زعمت أن الإمام بعد جعفر هو محمد بن إسماعيل وقالوا أن الأمر كان لإسماعيل في حياة أبيه فلما توفي أبيه جعل جعفر الأمر لمحمد بن إسماعيل، وكان الحق له، ولا يجوز غير ذلك لأن الإمامة لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين، ولا تكون إلا في الأعقاب، وأصحاب هذه الفرقة يسمون المباركية برئيس لهم وكان يسمى المبارك مولى إسماعيل بن جعفر. الحسن بن موسى النوبختي، وسعد بن عبد الله القمي من أفاضل علماء رأس الثلاثمائة الهجرية، فرق الشيعة، حققه وصحح نصوصه وعلق عليه وقدم له بدراسة وافية د. عبد المنعم الحفني، ط ١، دار الرشاد، القاهرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٧٨، ٧٩، محمد السعيد جمال الدين: دولة الإسماعيلية في إيران، بحث في تطور الدعوة الإسماعيلية إلى قيام الدولة مع ترجمة للنص الفارسي الذي ورد عنها في كتاب "تاريخ جهانكشاي" لعطا ملك الجويني، نشر مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٢٣.

(١) محمد العظيم أبو النصر: نظم الحكم، ص ٤٥٧.

فتنة البساسيري<sup>(١)</sup>، فكان سيف السلطان طغرل بك كفيلا بالقضاء على البساسيري سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م<sup>(٢)</sup>.

ولم يهدأ الشيعة، على الرغم من تعصب السلاجقة ووزرائهم للسنّة واضطهادهم كل الفرق الشيعية وطردهم من أجهزة الدولة، فلقد عاب نظام الملك على سلاطين دولته الذين قالوا بتوظيف عدد من غير المسلمين كاليهود، والمسيحيين، والملاحدة والإسماعيلية<sup>(٣)</sup>، ويرى أن الخير في إبعاده هؤلاء جميعا عن الجهاز الإداري للدولة، وإلا فإن وجودهم سوف يقودها إلى الاندثار لا محالة<sup>(٤)</sup>. ولقد استجاب له السلاطين السلاجقة، فطردوهم من الوظائف الإدارية واستخدموا القسوة معهم خاصة مع الإسماعيلية (الباطنية) حتى لقد كان الراضية<sup>(٥)</sup>، في ذلك العهد يرادفون عبدة النار والكفار وكان يضرب المثل بقسوة

(١) البساسيري: هو المظفر أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري التركي مقدم الأتراك ببغداد يقال أنه كان مملوك بهاء الدولة بن بوتة وهو الذي خرج على الخليفة القائم بأمر الله ببغداد، وكان قدمه على جميع الأتراك وقلده الأمور بأسرها وخطب له على منابر العراق وخوزستان فعظم أمره وهابته الملوك، ثم خرج على الخليفة العباسي القائم بأمر الله من بغداد وخطب للمستنصر العبيدي صاحب مصر، وظلت بغداد مدينة فاطمية شيعية لمدة سنة كاملة حتى جاء طغرل بك السلجوقي وقتله وقضى على ثورته. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٩٠ - ٩١.

البساسيري: بفتح الباء الموحدة والسين المهملة وبعد الألف سين مكسورة ثم ياء ساكنة ثمثة من تحتها وبعدها راء هذه النسبة إلى بلده بفارس يقال لها بساو بالعربية فساو والنسبة إليها بالعربية الفسوى، وكان البساسيري من بسا فنسب إليها واشتهر بالبساسيري. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٨٨.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٢١٠، ٢١١، ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٢، ص ٩١. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٨٧، ٢٨٨.

(٣) الإسماعيلية: لهم ألقاب كثيرة منها الباطنية ولزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا، ومن ألقابهم أيضا القرامطة، والمزديكية، والملاحدة والتعليمية. الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٩٢.

(٤) نظام الملك: سياسة نامه، ص ٢٣٤ وما بعدها.

(٥) الراضية: سموا بذلك لرفضهم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لأنه مدح أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وعندما سمعت شيعة الكوفة مدحه للشيخين، =

السلطان ألب أرسلان فى هذا الصدد حتى قيل أنهم منعوا من امتلاك المدارس وغيرها من مؤسسات العلم، ومنع أفرادها من حضور مجالس البحث والنظر<sup>(١)</sup>. بل إن العلماء الذين عاشوا فى خراسان من أهل السنة، بما لهم من نفوذ كانوا ينادون بمعادة الفرق غير الإسلامية كافة ويروجون عددا من الأحاديث تحرض على قتلهم<sup>(٢)</sup>.

ولقد قام نظام الملك ببناء المدارس النظامية فى بغداد نيسابور وهراة ومرو وبلخ، لنشر وتعليم المذهب الأشعرى السنى، لمقاومة الفكر الشيعى الإسماعيلى<sup>(٣)</sup>. بل لقد قاوم سلاطين السلاجقة المذهب الإسماعيلى بأقصى ما يستطيعون من قوة وصبغوا عدااء الإسماعيلية للدولة السلجوقية بصبغة العدااء للدين نفسه<sup>(٤)</sup>.

وعلى الرغم من ذلك اشتدت شوكة الدعوة الإسماعيلية فى إيران وخراسان بصفة خاصة، وكسبت الكثير من المستجيبين، واستطاعت فى النهاية أن تثبت أقدامها، وتحرز نصرا سياسيا كبيرا بالاستيلاء على مناطق شاسعة فى تلك المنطقة من العالم الإسلامى<sup>(٥)</sup>.

ولقد واكب نجاح الإسماعيلية السياسى فى سنة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م الاستيلاء على إحدى قلاع أصفهان وهى قلعة الموت<sup>(٦)</sup> المنيعة ذات الوديان الصالحة للزراعة

= وعرفوا أنه لا يتبرأ منهما رفضوه، حتى أتى قدره عليه، فسميت رافضة. الشهرستانى: الملل والنحل، ج ١، ص ١٥١.

(١) نصير الدين أبو الرشيد عبد الجليل: بعض مثال النواصب فى نقض بعض فضائح الروافض، طبعة طهران، ١٣١١هـ، ص ٤٥ وما بعدها.

(٢) أحمد كمال الدين: السلاجقة، ص ٢١٩.

(٣) عبد الكريم عرايية: العرب والأتراك، طبعة دمشق، ١٩٦١م، ص ٩٨. مصطفى جواد: المدرسة النظامية، ص ٣٢٣.

(٤) محمد السعيد جمال الدين: دولة الإسماعيلية فى إيران، ص ٩٨ وما بعدها.

(٥) مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٥، ص ٢١٤ - ٢١٧.

(٦) الجوينى: عطا ملك ت٦٦٨هـ / ١٢٨٩م، تاريخ جهانكشاي، ترجمة محمد السعيد جمال الدين، القاهرة، ١٩٧٥م، ج ٣، ص ٢٠٠ - ٢٠٣.

والتي كانت وغيرها من القلاع تكون وحدة اقتصادية عسكرية مستقلة بذاتها يعيش أهلها معتمدين على أنفسهم فى زراعة الأرض، والدفاع عن القلعة وما حولها فى مواجهة أى غزو أو اعتداء خارجى، ولقد كان للوفرة والتنوع الذى امتازت به المحاصيل التى يمكن أن تزرع فى هذه المنطقة أكبر الأثر فى تحقيق استقلالها وتكاملها الاقتصادى<sup>(١)</sup>.

ولقد كان الخلاف الذى دب بين السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك<sup>(٢)</sup>، من العوامل التى ساعدت على نجاح الإسماعيلية فى الاستيلاء على هذه القلعة المنيعة إلى جانب أن سلاطين السلاجقة لجئوا منذ البداية إلى الإقطاع كأسلوب إدارى<sup>(٣)</sup> فى إدارة شئون البلاد المترامية الأطراف تحت حكمهم، مما أدى إلى نشوب المنازعات بين حكام هذه الولايات بعضهم ببعض، وإلى تفتيت قوتهم ونزوعهم إلى الاستقلال المطلق عن السلطة المركزية، فبينما كانت قوة سلاطين السلاجقة تميل إلى الانخفاض، كانت قوة حكام الولايات تزداد بحيث يصبح كل منهم حاكما شبه مستقل<sup>(٤)</sup>.

غير أن هناك سببا آخر أدى إلى قيام دولة الإسماعيلية، هو أن النظام الإقطاعى العسكرى السلجوقى أدى إلى وجود طبقة اجتماعية فى المدن، كما أدى إلى ازدياد أهمية المدن فى عصر السلاجقة، حيث صار لبعض المدن شخصيتها الواضحة المميزة<sup>(٥)</sup>، ونتج عن ذلك ظهور عدة طبقات فى كل مدينة، كالعظماء من المقطعين، والأشراف والتجار والصناع، والفقراء الذين زاد عددهم، بل وظلموا من جانب المقطعين<sup>(٦)</sup>، فاستغل دعاة

(١) ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، ترجمها إلى الإنجليزية ونشرها وليم مارسون، ترجمها إلى العربية عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص ٦٤.

(٢) الراوندى: راحة الصدور، ص ٢٠٧، ٢٠٨.

(٣) إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية فى الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ١٣ - ٢٠.

(٤) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات دار إيران، ج ٢، ص ١٢٤.

(٥) عبد النعيم حسانين: نظام الكنجوى شاعر الفضيلة، القاهرة، ١٩٤٥م، ص ٥٨.

(٦) محمود إسماعيل عبد الرازق: الإقطاع الإسلامى من منتصف القرن الخامس إلى أوائل

القرن العاشر الهجرى، حويليات كلية الآداب، حويلة رقم ١١، الكويت، ١٩٨٩م،

ص ٤١.

الإسماعيلية هذا التمايز الطبقي، فدعوا الطبقات الكادحة كعادتهم إلى دعوتهم، فكثرت أتباعهم<sup>(١)</sup>.

لقد كان استيلاء الحسن الصباح<sup>(٢)</sup> زعيم الإسماعيلية على قلعة الموت المنيعة سنة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م أول بوادر النجاح السياسي للإسماعيلية في إيران وخراسان، ثم تلاها نجاح آخر بالاستيلاء على ولاية قوهستان المجاورة لخراسان سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م والتي أصبحت لها حكامها المحليون يتبعون ملوك الإسماعيلية في الموت حتى قضى عليهم المغول<sup>(٣)</sup>، ثم نجاح ثالث بالاستيلاء على قلعة شاهدز<sup>(٤)</sup> سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م<sup>(٥)</sup>، كما فرضوا سيطرتهم على عدة مدن رئيسية مثل طبرس في خراسان، وهكذا نجحوا في إنشاء دولة إقليمية بالفعل<sup>(٦)</sup>.

كان استيلاء الحسن الصباح وأعوانه على هذه القلاع والأماكن الحصينة بداية لما نالوه من سلطة سياسية، ذلك أن المستنصر الفاطمي (٤٢٧ - ٤٨٧هـ / ١٠٣٥ -

(١) محمد السعيد جمال الدين: دولة الإسماعيلية في إيران ص ٩٩، وما بعدها.

(٢) الحسن الصباح: الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن الحسين بن الصباح الحميري الإسماعيلي ولد في مرو عام ٤٢٨هـ / ١٠٣٧م، قيل بأنه يمانى الأصل من حمير، وتلمذ لأحمد بن عطاش، فصار مقدم الإسماعيلية بأصفهان، أتقن علم الهندسة والحساب والنجوم، الحسيني: زبدة التواريخ، حاشية ١، ٣ ص ١٣٩، يحيى حمزة: الدولة السلجوقية، حاشية ٢، ص ١٩٧.

أخذ الحسن الصباح يتنقل في البلاد إلى أن وصل إلى مصر، ووجد الخطوة لدى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، ولقيت أقواله وأفعاله قبولا لدى المستنصر، فكان يزيد في إجلاله وإكباره يوما بعد يوم، إلى أن وصل إلى مرتبة حسده عليها أمراء الخليفة وحاشيته، وفي النهاية عاد إلى خراسان داعيا الناس لاتباع مذهب الإسماعيلية وتمكن من الاستيلاء على قلعة الموت سنة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م، واستقر بها إلى أن توفي ٥١٨هـ / ١١٢٤. خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٦٧.

(٣) الجويني: جهانكشاي، ج ٣، ص ٢١٦، ٢١٧.

(٤) شاهدز: قلعة حصينة على جبل أصفهان كانت لمعقل أحمد بن عبد الملك بن عطاش مقدم الباطنية. ومعنى شاهدز: قلعة الملك. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٢٠.

(٥) الرواندي: راحة الصدور، ص ٢٠٦.

(٦) برنارد لويس: الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، تعريب محمد العرب موسى، ط ٢، دار أزال، بيروت، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٨٦م، ص ٩٠.

١٠٩٤م) لم يمتد به العمر طويلا، بعد أن مكن الإسماعيلية الباطنية لأنفسهم في إيران وخراسان، إذ توفي عام ٤٨٧هـ / ١٠٩٤<sup>(١)</sup>، واقتربت الإسماعيلية إلى فرقتين الأولى:

الإسماعيلية "النزارية" ذهبت إلى أن الإمامة انتقلت إلى نزار من المنتصر بالله الفاطمي، ولكنه قتل، والفرقة الثانية هي "المستعلية" وهؤلاء ذهبوا إلى الإمامة في "المستعلي بالله بن المستنصر بالله على الرغم من أنه لم يكن الابن الأكبر<sup>(٢)</sup>.

واستطاع الحسن الصباح أن يستغل الدعوة النزارية لصالحه في خراسان، فقد أصبح نائبا عن الإمام المتور، ومن ثم وجب طاعته في كل ما يأمر به أو ينهى عنه<sup>(٣)</sup>.

ولكن ماذا فعل سلاطين السلاجقة ووزرائه إزاء هذا التقدم الباهر الذي حققه الحسن الصباح وأتباعه؟ لقد شعر السلاجقة بالخطر الكامن وراء هذا الحدث فبدءوا على الفور في محاولات استرداد القلاع والأماكن التي استولى عليها الصباح.

ففي عام ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م قام السلاجقة بأولى محاولاتهم لمواجهة الخطر الإسماعيلي بالقوة العسكرية، وذلك حينما أرسل السلطان ملكشاه أحد خواصه وهو الأمير "يورنتاش" والتي كانت نواحي الموت إقطاعا له، فكان يهاجم سطح الموت المرة تلو الأخرى، وكان يقتل ويغير على كل من قبل دعوة الحسن الصباح، وكاد النصر يكون حليفه، لولا أن الحسن الصباح قد ثبت أتباعه على الصمود ومقاومة الشدائد، وباءت محاولة القائد السلجوقي بالفشل<sup>(٤)</sup>.

وفي سنة ٤٨٤هـ، ١٠٩١م، أرسل الصباح أحد دعائه المسمى حسين القايني إلى قهستان، ليتولى الدعوة بها، فاستجاب له جماعة من أهلها، واستقلوا

(١) عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكرين ص ١٣١.

(٢) أبو مصعب البصري: أضواء على الفرق والمذاهب الإسلامية، ص ٨٩، ٩.

(٣) عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكرى، ص ١٣٢.

(٤) الجويني: تاريخ جهانكشاي، ج ٣ ص ١٩٣، ١٩٤. برناردلوييس: الحشاشون، ص

بإحدى نواحي أن، وعينه الصباح نائباً له فيها، وبذل كل ما فى وسعة لنشر الدعوة بقهستان، واستطاع الاستيلاء على بعض القلاع<sup>(١)</sup>.

وكانت ثانى المحاولات التى قام بها السلاجقة سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م، حينما أرسل السلطان ملكشاه أميراً له يدعى "أرسلان تاش" لمحاربة الحسن الصباح وأتباعه، فحاصر "أرسلان تاش" قلعة الموت، وعلى الرغم من قلة عدد أنصار الحسن الصباح فإن "أرسلان تاش" فشل فى الاستيلاء على الموت، وكان ذلك بسبب أن جماعات أخرى من أتباع الإسلامىة الإسماعيلية أرسلهم أحد دعاة الحسن ويدعى ديدار أبو على، لمناصرة المحاصرين، فقاموا بشن هجوم مفاجئ على جيش "أرسلان تاش" واستطاعوا دحر الجيش السلجوقى، وعاد بادراج الهزيمة إلى السلطان ملكشاه<sup>(٢)</sup>.

وكانت آخر محاولات السلاجقة فى عهد السلطان، حينما أرسل جيش آخر فى نفس العام بقيادة أمير من خواصه هو "غزل سارع" إلى قهستان لمحاربة حسين القاينى الإسماعيلى، وأمر السلطان جيوشه فى منطقة خراسان بمناصرتة ومعاونته، فحاصر "الإسماعيلية فى القلعة، وقاتلهم، فوصله خبر وفاة السلطان ملكشاه، فرفع الحصار عن المركز الإسماعيلى فى قستهان<sup>(٣)</sup>.

وكان جيش الإسماعيلية يشتهر بالحماس والاستعداد للتضحية بالنفس من أجل حماية دعوة الإسماعيلية، وكثير بينهم الفدائيون الذين كانوا يستعينون بهم فى اغتيال أعدائهم من القواد والأمرء والسلاطين الذين يقفون عقبة فى طريق ونشر دعوتهم. وقد أثار فدائيو الإسماعيلية قلق الناس فى أرجاء الدولة السلجوقية<sup>(٤)</sup> ونجح الإسماعيلية فى اغتيال رمز العداة بالنسبة لهم، وهو الوزير الذى بذل كل

(١) الجوينى: تاريخ جهانكشاي، ج ٣، ص ١٩٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ٨، ص ٤٨١ وما بعدها.

(٣) الجوينى: تاريخ جهانكشاي، ج ٣، ص ١٩٦، برناردلويس: الحشاشون، ص ٩٣.

(٤) عبد النعيم حسنين: دولة السلاجق، ص ٦٣، حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم

الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ط ٥، دار الفكر العربى، بدون، ص

. ٥٩٥

جهده لاستئصالهم "نظام الملك"<sup>(١)</sup>، وبقتله ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م استطاعوا تكوين دولة قوية لهم عرفت بدولة الإسماعيلية في إيران<sup>(٢)</sup>.

وبوفاة السلطان ملكشاه، انفرط عقد الدولة السلجوقية وتمزقت وحدتها<sup>(٣)</sup>، وانتهى العصر السلجوقي الذي سمي بعصر "السلاجقة العظام" أو العصر الذهبي للدولة السلجوقية<sup>(٤)</sup>.

توفى السلطان ملكشاه ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م، وله من الأولاد أربعة بنين وهم بركياروق، ومحمد، وسنجر، ومحمود، وكان محمود طفلاً، وكانت أمه مستولية أيام ملكشاه فبايعوه على السلطنة، وكان بركياروق أمه سلجوقية، ولم تنقض سنة حتى توفى محمود<sup>(٥)</sup>، وتولى السلطنة بركياروق (٤٨٦ - ٤٩٨هـ / ١٠٩٣ - ١١٥م) وحده وملكه اثني عشرة سنة<sup>(٦)</sup>.

ولقد زاد نفوذ الإسماعيلية في عهد السلطان بركياروق، حينما استعان بهم في نزاعه مع أخيه محمد على عرش السلطنة، فكثرت عددهم في جيشه وكانوا يمثلون ربع جيشه تريباً، كما استعان بهم السلطان بركياروق شكوا إليه ما يلاقونه من الإسماعيلية "الباطنية" كما شكوا إليه أن جنود السلطان محمد يتهمونه بالتحالف مع الباطنية، فانقلب السلطان على الباطنية، وأذن لجنوده بقتالهم<sup>(٧)</sup>.

وتوجه بركياروق إلى خراسان لمحاربة عمه أرسلان أرغون، وأرسل في المقدمة أخاه "سنجر" ثم تبعة بجيش جرار، وكان ذلك سنة ٤٨٩هـ / ١٠٩٥م، فقتل أرسلان أرغون، وتملك بركياروق خراسان<sup>(٨)</sup> وولى عليها أخيه سنجر<sup>(٩)</sup>.

(١) عقيلي: آثار الوزراء، ص ٢٠٧.

(٢) محمد السعيد جمال الدين: دولة الإسماعيلية في إيران، ص ٩٦: ١١٢.

(٣) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص ٨٦.

(٤) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامي، ص ١٥٨، محمد عبد العظيم:

سلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ص ١١١.

(٥) البنداري: آل سلجوق، ص ٨١.

(٦) الرواندي: راحة الصدور، ص ٢١٤، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٣٦٢.

(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١، ١٠ أجزاء،

١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج ٩، ص ٣١، ٣٢.

(٨) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٥٠٤.

(٩) الرواندي: راحة الصدور ص ٢٢١.

وفى سنة ٤٩٤هـ / ١١١١م انتشرت دعوة الباطنية، وأدخلوا الرعب فى قلوب الناس لقتلهم وتعذيبهم الرعية، حتى أن الأمراء كانوا يلبسون الدروع تحت ثيابهم<sup>(١)</sup>.

وفى سنة ٤٩٧هـ / ١١٠٤م غزا عسكر خراسان الإسماعيلية، وقتلوا منهم خلقا كثيرا، وأخذوا منهم حصين طبس بنيسابور<sup>(٢)</sup>.

وفى سنة ٤٩٨هـ / ١١٠٥م، عظمت شوكة الإسماعيلية، وكان من جملة ما فعلوه أن قوافل الحجاج وما وراء النهر وخراسان حينما وصلت على مقربة من الرى هجم عليهم الإسماعيلية ووضعوا فيهم السيف وقتلوهم ونهبوا أموالهم ودوابهم<sup>(٣)</sup>.

وبعد أن تولى السلطان محمد بن ملكشاه ٤٩٨هـ، ١١٠٥م، وجد أن قوة الإسماعيلية وصلت إلى حد الخطورة، الأمر الذى جعله يرى أن أهم عمل يقوم به هو القضاء عليهم<sup>(٤)</sup>.

ففى سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٧م، حاصر السلطان محمد قلعة شارو الباطنية بالقرب من أصفهان وأطال عليها الحصار، ونزل بعض الباطنية بالأمان وساروا إلى باقى قلاعهم وبقي صاحب القلعة أحمد بن عبد الملك بن عطاش مع جماعة سيرة، فزحف السلطان عليه وقتله وقتل جماعة كثيرة من الإسماعيلية الباطنية وملك القلعة وخربها<sup>(٥)</sup>. ثم قام بالقبض على وزيره سعد الملك أبى المحاسن وأخ ماله وصلابه على باب أصفهان، وصلب معه أربعة من أصحابه والمنتهم إليهن بعد أن ثبت تواطئهم مع الإسماعيلية، وأسند الوزارة إلى ضياء الملك أحمد الذى يلقب بنظام الملك الثانى<sup>(٦)</sup>.

(١) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٥٠٥.

(٢) الذهبى: دول الإسلام، ج ١، ص ٤٣٤.

(٣) أبو الفدا: المختصر فى تاريخ البشر، ج ٢، ص ٢٢٠، ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، ج ٢، ص ١٦.

(٤) يحيى الوزنه: الدولة السلجوقية، ص ٢٠٢.

(٥) أبو الفدا: المختصر ج ٢، ص ٢٢٢.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١١١.

وجاء الرد سريعا من الإسماعيلية حيث قام أحد فدائي الباطنية بقتل الوزير فخر الملك بن نظام الملك فى نفس العام<sup>(١)</sup>.

ومن هذا يتضح أن فخر الملك الوزير السلجوقى الكبير لكل من السلطانين بركياروق وسنجر كان ضحية من ضحايا الإسماعيلية، والمتتبع لتاريخ السلاجقة يتبين أن أباه نظام الملك زير السلطانين ألب أرسلان وملكشاه كان ضحية أيضا على أيدى الإسماعيلية<sup>(٢)</sup>.

وفى سنة ٥٠١هـ / ١١٠٨م السلطان محمد القضاء على الحسن بن الصباح، فأرسل جيشا بقيادة وزيره ضياء الملك بن نظام الملك ومعه الأمير جاولى إلى قلعة الموت، فهزموا الباطنية، وقتلوا منهم خلقا كثيرا<sup>(٣)</sup>، ونتيجة لذلك اشتد غضب الإسماعيلية، فثاروا وتملكوا إحدى القلاع سنة ٥٠٤هـ / ١١٩م، فثار أهل المدينة ووقع بينهم القتال، فانهزم الإسماعيلية، وقتلوا ولم يسلم منهم أحدا<sup>(٤)</sup>.

نشطت الإسماعيلية من جديد، وبدأت فى تدير مؤامرات القتل فقاموا فى سنة ٥٠٢هـ / ١١٠٩م بقتل قاضى أصبهان، وقاضى نيسابور، كما قاموا بقتل شيخ الشافعية أبو المحاسن الرويانى<sup>(٥)</sup>.

وفى سنة ٥٠٥هـ / ١١١٢م أرسل السلطان محمد الأمير أنوشتكين شيركير صاحب أباه وسأوه على رأس جيش جرار إلى قلعة الموت للقضاء على الإسماعيلية فحاصرها مدة حصارا شديدا وضيق عليهم الخناق، وعندما أوشك الجيش السلجوقى أن يستولى على القلعة، وصل الخبر بوفاة السلطان محمد ٥١١هـ / ١١١٨م، فى أصفهان، فتفرقت الجيوش، واضطر أنوشتكين إلى فك الحصار عنهم بعد أن كاد يستولى عليها<sup>(٦)</sup>.

(١) خوادمير: دستور الوزراء، ص ٢٧٥.

(٢) يحيى الوزنه: الدولة السلجوقية، ص ٢٠٤.

(٣) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ١٧٠.

(٤) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ج ٢، ص ٢٢٤.

(٥) الذهبى: دول الإسلام، ج ٢، ص ٧.

(٦) الرواندى: راحة الصدور، ص ٢٤٧، Carl Brockelmann: History. Of the Islamic

peoples. London, p . 180

وفى سنة ٥١٨هـ / ١١٢٥م توفى الحسن الصباح، وكان قد عين مكانه رجلا يدعى بزرك أميد<sup>(١)</sup>.

بوفاة السلطان محمد عاد الصراع على عرش السلطنة بين أفراد البيت السلجوقي، الأمر الذى هيا للإسماعيلية مواصلة نشاطهم ونشر دعوتهم واستعادة قوتهم مما جعل فتنتهم تظهر من جديد بين حين وآخر، ولقد تصدى لهم السلطان سنجر، وعمل على القضاء على دعوتهم<sup>(٢)</sup>.

ولقد استمر الإسماعيلية فى سياستهم الاغتيالية حيث قاموا سنة ٥١٩هـ، ١١٢٦م باغتيال القاضى أبو سعيد بن نصر بن منصور الهروى، حيث قتله الفداوية بهمذان، كما قاموا بقتل أق سنقر صاحب حلب فى مقصورة جامعها يوم الجمعة<sup>(٣)</sup>.

بدأ السلطان سنجر يشدد فى هجماته على الإسماعيلية فى الموت، فوج إليهم حملات متعددة للقضاء عليهم فى سنة ٥٢٠هـ / ١١٢٦م، وعادت جيوش بعد أن غنموا من أموالهم الكثير<sup>(٤)</sup>.

ولقد بذل سلاطين السلاجقة جهدا مشكورا فى درء الخطر الإسماعيلى، وفكر السلطان سنجر مهادنتهم وعقد صلحا معهم بعد أن خشى بأهم عندما استطاع أحد أفرادهم أن يضع خنجرا بجوار السلطان ورقة مكتوبة "إن الذى وضع الخنجر هنا قادر على وضعه فى رأسك" فأرسل السلطان وفدا للصلح برئاسة الوزير أبى نصر بن المفضل بعد أن تعرضت أكثر مدن خراسان للتخريب<sup>(٥)</sup>.

ولقد قامت الإسماعيلية بتوسيع نشاطهم وتجديده مرة أخرى من قتل ونهب

(١) الجوينى: تاريخ جهانكشاي، ج٣، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) يحيى الوزنه: الدولة السلجوقية ص ٢٠٦.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ٢١٠.

(٤) محمد محمود إدريس: السلطان السلجوقي، ص ٨٢، ٨٣.

(٥) إبراهيم على البهى على: التطورات الحضارية فى خراسان فى العصر السلجوقي الثانى (٤٨٥ - ٥٩٠هـ / ١٠٩٢ - ١١٩٣م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الزقازيق، كلية الآداب، فرع بنها، بدون ص ٢٦٢.

وسلب، واعتبر السلطان سنجر أن ذلك نقضا للصلح والهدنة التي عقدت بينه وبين الإسماعيلية من قبل. لذا أخذ العدة للهجوم عليهم<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م قتل معين الدين أبو نصر بن احمد القاشنى وزير السلطان سنجر على يد اثنتين من الفدائيين الإسماعيلية<sup>(٢)</sup> سنجر جرارا تجاه الموت، ودارت بين السلطان والإسماعيلية بها حربا قوية قتل السلطان فيها ما يقارب اثنى عشر ألفا منهم<sup>(٣)</sup>.

وفي سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٤ م توجه الأمير بزغش على رأس جيش وحاصر قلعة كردكوه بخراسان، وطال الحصار مدة كبيرة أنه رحل عنها فى نهاية الأمر، ويقال أن سبب رحيله هو وصول المال والمؤن إلى المحاصرين من الإسماعيلية<sup>(٤)</sup>.

ولم يتأخر رد الإسماعيلية على هذه الحملة طويلا، ففي سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م، هجمت جماعة من الإسماعيلية على الخليفة العباسى فى خيمته فقتلوه معه جماعة من أصحابه، ثم حيط بالقتلة الإسماعيلية، وتم قتلهم<sup>(٥)</sup> كما قام الإسماعيلية فى نفس العام بقتل صاحب دمشق شمس الملوك إسماعيل بن بورى بن طغتكين<sup>(٦)</sup>.

وفي سنة ٥٣٥ هـ / ١١٤١ م قتل الإسماعيلية جوهر خادم سنجر وهو من أكبر أمراء السلطان سنجر وهو من أكبر أمراء السلطان سنجر، مما أدى إلى غضب الأمير عباس، وكان من مماليك جوهر، فملك الجيش لقتال الإسماعيلية، وقتل منهم ما يزيد على مائة ألف، وظل يقاتلهم حتى توفى، فقام بالأمر بعده ولده فقام وحرق رئيس الإسماعيلية يدعى "إبراهيم السهولى"<sup>(٧)</sup>.

(١) يحيى الوزنه: الدول السلجوقية، ص ٢٠٧.

(٢) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٨٢، برنارد لويس: الحشاشون، ص ١٢٥.

(٣) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١، ص ٥.

(٤) يحيى الوزنه: الدولة السلجوقية، ص ٢٠٩.

(٥) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٥١١.

(٦) الذهبى: دول الإسلام، ج ٢، ص ٣٢.

(٧) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١٠، ص ٩٥، السبندارى: آل سلجوق، ص ١٧٦، ١٧٧.

الحسينى " زبدة التواريخ، ص ٢١٨.

وقد قامت الإسماعيلية "الباطنية" بتوسيع نشاطهم بعد هزيمة السلطان سنجر على يد الغز سنة ٥٤٨هـ - ١١٥٤م، واستيلاءهم على عسكره، ونهبوا نيسابور، وملكوا بلخ<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٥م اجتمع كثير من الإسماعيلية بلغ عددهم سبعة آلاف رجل، وتوجهوا نحو خراسان يريدونها نظرا لانشغال سنجر وعسكره بالحرب مع الغز فالتقاهم، جماعة من الأمراء، واشتبكوا مع الإسماعيلية فى عدة معارك وأكثروا فيهم القتل، وانهزم الإسماعيلية أمامهم شر هزيمة وراحوا تحت السيف، ونجا منهم القليل<sup>(٢)</sup>.

وفي سنة ٥٥١هـ / ١١٥٧م هاجمت الإسماعيلية طبرستان بخراسان، فأوقعوا بها وقعة عظيمة، وقتوا وأسروا جماعة من أعيان السلطان سنجر، ونهبوا أموالهم ودوابهم وعادوا إلى ديارهم<sup>(٣)</sup>.

وفي سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٨م، خرجت الإسماعيلية على حجاج خراسان فقتلوا وسبوا ونهبوا، وكان لهذا الاعتداء على الحجاج أثره السيئ الكبير فى نفوس كثير من أمراء المسلمين الذين تصدوا للإسماعيلية<sup>(٤)</sup>.

ففى نفس العام توفى السلطان سنجر بن ملكشاه وخلفه على خراسان محمود خان ابن أخته فأقام خانقا من الغز<sup>(٥)</sup> حتى توفى سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م<sup>(٦)</sup>.

وفي سنة ٥٥٣هـ / ١١٥٩م، خرجت جماعة من الإسماعيلية بلغ عددهم ألفان، وتوجهوا إلى خراسان، ونزلوا على التركمان، فسبوا الحريم وقتلوا

(١) أبو الفدا: المختصر، ج٣ ص ٢٦، ابن الوردي: تاريخ، ج٢، ص ٥٢.

(٢) الذهبي: دول الإسلام، ج٢، ص ٥٤، يحيى الوزنه: الدولة السلجوقية، ص ٢١٠.

(٣) محمد محمود إدريس: السلطان سنجر السلجوقي، ص ٨٣، يحيى الوزنه: الدولة السلجوقية، ص ٢١٠.

(٤) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص ١٦١، يحيى الوزنه: الدولة السلجوقية، ص ٢١١.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٤١٦، ابن الوردي: تاريخ، ج٢، ص ٥٨.

(٦) فامري: تاريخ بخارى، ص ١٤٩، ١٥٠. بارتولد: تركستان، ص ٤٨٥، ٤٨٦.

الرجال، ورجعوا بالغنائم، فأسرع عسكر التركمان، فأحاطوا بهم وهم يقتسمون الغنيمة، فوضعوا فيهم السيف فلم ينج منهم سوى تسعة<sup>(١)</sup>.

هذا وقد تكررت الاعتداءات من قبل جماعة الإسماعيلية على قوافل الحج الخراسانية، ودارت بينهم معارك متفرقة قتل فيها خلقا كثيرا وعدد كبيرا من الأمراء، والأئمة والعلماء والزهاد، حتى صار في كل بيت بخراسان مآتم، وطاف شيخ يدعو الخراسانيين لقتال الإسماعيلية، والتصدى لهم، فانسحبوا بعد أن قتل منهم الكثير، وقاموا ببناء قلعة جديدة سنة ٥٦٠ / ١١٦م، قرب قزوين خوفا من غضب وبتش الخراسانيين<sup>(٢)</sup>.

على الرغم من هذا الصراع السياسى والفكرى بين الفرق والمذاهب المختلفة كالصراع السنى السنى أو الصراع السنى الشيعى، فقد حدث احتكاك بين هذه الفرق، كما حدث احتكاك آخر بين الفقهاء والعلماء هذه الاحتكاكات سببت نشاطا عجيبا فى الحركة الفكرية فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى، إذ كان كل فريق يرى أن يتسلح بالعلم أمام الخصوم بكل الوسائل ليتغلب عليهم، وسيظهر هذا النشاط الفكرى والعلمى واضحا عند دراسة العلمى والأدبى لهذه الفرق.

(١) الذهبى: دول الإسلام، ص ٥٨.

(٢) البندارى: آل سلجوق، ص ٦٨، ٦٩. الراوندى: راحة الصدور، ص ٤١٤، ٤١٥.

## رابعاً: الرحلات العلمية

كان للرحلات العلمية آثارها العظيمة في إثراء الحركة الفكرية والعلمية في بلدان المشرق الإسلامي في العصر السلجوقي، وأصبحت عواصم خراسان وبلدان المشرق الإسلامي مفتوحة أمام العلماء، فأثرت هذه الرحلات الحركة الفكرية، وكانت الرحلات العلمية من أهم العوامل التي ساعدت على تطور وازدهار الحياة الفكرية في إقليم خراسان في العصر السلجوقي، وقد رحل العلماء من خراسان إما لإلقاء العلم أو تلقيه، وهناك من رحلوا إلى خراسان من أجل العلم أيضاً. والرحلات العلمية تعتبر من أهم مميزات جهود المسلمين في هذا المجال، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال دراسة تراجم الآلاف من العلماء في هذا العصر، فقد رحل العلماء إلى مناطق نائية سعياً وراء العلم والمعرفة غير مبالين بما يتعرضون له من مشقة وعناء، وجهد ونفقة، بجانب متاعب السفر وصعوبته ومخاطره في ذلك الوقت وما يتطلبه من استعدادات وتجهيز القوات، ويبدو أن الطلبة كانوا يعتمدون على أنفسهم أثناء رحلاتهم العلمية إلى الأقطار البعيدة وعبر قوافل الحج والتجارة<sup>(١)</sup>.

وكان طلاب العلم يجوبون البلاد سعياً إلى موارد العلم والمعرفة، مما يسر للدارسين الأخذ بحظ وافر من العلوم المختلفة، مما أثر تقدماً علمياً ملموساً في سائر العلوم المعروفة في ذلك العصر<sup>(٢)</sup>، لقد كان طلاب العلم يرحلون في طلب الحديث مسافات شاسعة<sup>(٣)</sup>، كما كان الشعراء والأدباء الذين كانوا يرغبون في الحصول على أكبر قسط من الفصاحة العربية، كانوا يذهبون إلى البادية طلباً للبيان والبلاغة<sup>(٤)</sup>.

(١) مريزي عسيري: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، ص ٢٤٤.

(٢) عبد النعيم حسانيين: سلاجقة إيران والعراق، ص ١٨٢.

(٣) ساجد الرحمن الصديقي، عارف كرخي أبو خضيري: نشأة علوم الحديث وتطورها، ط ١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م، ص ٣٥.

(٤) علي حسني الخربوطلي: الحضارة العربية والإسلامية، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون، ص ٢٣٠.

كانت الرحلات العلمية، قد أدت إلى اتصال العلماء بعضهم ببعض، وتبادل المعرفة بينهم، واستفاد كل عالم من زملائه، كما أدى تبادل الكتب والزيارات والمناقشات إلى النهوض بالحركة الفكرية وازدهارها، كما أن رحلة الطلاب بين المدن الإسلامية لطلب العلم، أتاح لهم الاستفادة من العلماء ومجالس المناظرة التي عقدها أمراء سلاطين السلاجقة في قصورهم أو المناظرة في المساجد والمنازل والدكاكين وغيرها من مؤسسات العلم، كل ذلك أدى إلى ازدهار الحياة الفكرية في إقليم خراسان في العصر السلجوقي<sup>(١)</sup>.

ولم تمنع الاضطرابات السياسية في بلاد المشرق الإسلامي، هذه الرحلات العلمية، بل ساعدت عليها<sup>(٢)</sup>.

وكانت هذه الرحلات العلمية بجانب تشجيع السلاطين والوزراء لحركة العلم والعلماء بالإضافة إلى الصراعات المذهبية والفكرية، كل ذلك أدى إلى تطور الحياة الفكرية في إقليم خراسان في ذلك العصر.

### **الرحلات العلمية من إقليم خراسان:**

انتشر علماء وطلاب خراسان في بلاد المشرق الإسلامي في ذلك العصر فممن رحلوا خارج خراسان:

- أبو الحسن الجويني عم إمام الحرمين رحل إلى الحجاز وسمع الكثير، وحدث وغلب عليه التصوف، وكان يعرف بشيخ الحجاز ت ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م<sup>(٣)</sup>.

- أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن المرزوي، كان إمام فاضل، سمع بنيسابور من الشيخ أبي عبد الرحمن السلمى، ت ٤١٢هـ / ١٠٢٠م، ورحل إلى بغداد وحدث بها، وكتب عنه الخطيب البغدادي

(١) عصام الدين عبد الرؤوف: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، ص ٢٩٤، ٢٩٥.

(٢) إبراهيم على البهى على: الحركة الثقافية في بلاد المشرق عصرى السامانيين والبهيين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ألمانيا، كلية الآداب، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ١٩٨.

(٣) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٦٢.

ت ٤٦٧هـ / ١٠٧٠م، ثم رجع إلى مرو الروذ وتوفي بها سنة ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م<sup>(١)</sup>.

- الشيخ الإمام الثقة المقرئ المحدث أبي الحسن محمد بن الحسين بن محمد بن السري النيسابوري، ثم المصري التاجر، نزيل مصر، وحدث عنه جماعة، وكان بمصر من مشاهير الرواة، ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م<sup>(٢)</sup>.

- إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عابد، الأستاذ الإمام شيخ الإسلام، أبو عثمان الصابوني الخطيب، المفسر المحدث الواعظ، وكان أكثر أهل العصر من المشايخ سماعاً وحفظاً، سمع الحديث بنيسابور وهرارة، والشام، والحجاز، وبلاد الجبال، وغيرها من البلاد، وحدث بخراسان، وبلاد الهند، وجرجان، والشام، وبيت المقدس، واستفاد الطلاب والعلماء بعلمه، ت ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م<sup>(٣)</sup>.

- أبو الحسن الزوزني على بن محمود بن إبراهيم الصوفي، رحل إلى بغداد وروى عن أبي عبد الرحمن السلمى، وصار شيخ الصوفية، وجلس في الرباط المنسوب إليه «رباط الزوزني» المقابل لجامع المنصور ببغداد، وكان يقول: صحبت ألف شيخ، أحفظ عن كل شيخ حكاية، وتوفي سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م ودفن بالرباط<sup>(٤)</sup>.

- زهير بن على بن الحسن بن خزام السرخسى، رحل إلى بغداد، وتفقه على أبي حسان الأسفراينى، وبرع فى الفقه، وسمع بالبصرة سنن أبى داوود على القاضى أبى عمر، وحدث بالكثير، وكان يرجع إليه فى

(١) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ٨٢.

(٢) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٤٥.

(٣) ياقوت الحموى: أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م، معجم الأدباء، ٦ أجزاء، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ج ٢، ص ٢٩٧، ٢٩٨.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٨، ص ٢١٤، أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ج ٢، ص ١٨٠.

الفتاوى وحل المشكلات<sup>(١)</sup>. وعاد إلى خراسان، وأصبح مفتى الشافعية بخراسان، ورجع إلى بلده سرخس وأصبح مدرسا بها وتوفى سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م<sup>(٢)</sup>.

- أبو بكر البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى، سمع علماء خراسان، رحل إلى العراق والجبال والحجاز، وجمع علم الحديث والفقه والأصول، وجمع نصوص الشافعي في عشر مجلدات، ثم أعاد وأصبح عالم خراسان، ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م<sup>(٣)</sup>.

- أبو جعفر الطوسي، محمد بن الحسن بن علي، شيخ الشيعة، وله تفسير كبير في عشرين مجلد، رحل إلى بغداد وتفنن وتفقه للشافعي، ثم تحول إلى الشيعة الرافضة ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م<sup>(٤)</sup>.

- عمر بن أحمد بن يوسف المرزوي، الشيخ الإمام أبو طاهر، رحل إلى بغداد وتفقه على الشيخ أبي حامد الأسفرايني، وسمع الحديث بالبصرة، وأصبح له معرفة بالتواريخ وأيام الناس، كما كان إماماً فاضلاً فقيهاً بارعاً، غلب عليه علم الأصول والكلام حتى عرف به، وتوفى بمرور سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م<sup>(٥)</sup>.

- المحدث أبو منصور بكر بن محمد بن علي بن حيدر النيسابوري، التاجر، وكان ثقة حدث بخراسان، ورحل إلى العراق وحدث بها وبهمذان وتوفى ٤٦٤هـ / ١٠٧١م<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٩٢.

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ١٢، ص ٢٩٢.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٢٤٢، الذهبي: دول الإسلام، ج ١، ص ٣٩٣.

(٤) الأذنهوي: أحمد بن محمد من علماء القرن الحادي عشر، طبقات المسرين، تحقيق سليمان ابن صالح الخزبي، ط ١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ١٢٤، ١٢٥.

(٥) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٣٠١.

(٦) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣١٨.

- ومن رحلوا لأسباب سياسية ومذهبية الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري<sup>(١)</sup>، ت ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م، فرحل إلى الحج في صحبة فيها أبو المعالي الجويني إمام الحرمين ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م، وأبو بكر البيهقي ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م، فسمع معهما الحديث ببغداد والحجاز، ورجع إلى خراسان وتوفي بنيسابور<sup>(٢)</sup>.

- ومن شعراء وأدباء خراسان الذين رحلوا وكانت له صلوات وثيقة بعلماء عصره أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي الطيب الباخري ت ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م، وقد رحل الباخري وتنقل في معظم بلاد فارس والعراق، وأصبح من أدباء العصر المشهورين<sup>(٣)</sup>.

- ومن العلماء الذين رحلوا في صباهم، الشيخ العالم المحدث أبو نصر عبد الرحمن بن علي بن محمد بن موسى النيسابوري المزكي التاجر، طاف خراسان، ورحل إلى العراق، وسمع طائفة منهم وروى الكثير، وروى عنه أهل خراسان ت ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م<sup>(٤)</sup>.

- ومن رجال الحديث الذين رحلوا لسماع الحديث، أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد أبو صالح المؤذن النيسابوري، حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين<sup>(٥)</sup>. ورحل إلى أصبهان وبغداد ودمشق سنة ٤٣٠هـ / ١٠٣٧م<sup>(٦)</sup>، كتب وجمع الكثير، وصنف كتب على ألف شيخ، وكان يعظ ويؤذن إلى أن توفي ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م<sup>(٧)</sup>.

---

(١) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ١٩٠، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ٣٦٥.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٢٤٢.

(٣) الباخري: دمية القصر وعصره أهل العصر، ج ١، ص ٩، ياقوت: معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٧، ١٨.

(٤) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٩٢.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٣١٤.

(٦) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٣٥.

(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٢٧.

- ومن الرحالة فى طلب العلم الحسن بن على البلخى الحافظ الثقة المكثّر الكبير، رحل وطاف فى البلاد، وروى الحديث بالشام والعراق ومصر وخراسان وكان من الثقات ت ٤٧١هـ / ١٠٧٨م<sup>(١)</sup>.
- ومن فقهاء خراسان الرحالة عبد الرحمن بن محمد بن ثابت الخرقى تفقه بمرور ثم رحل إلى بخارا ثم بغداد وتفقه على الشيخ أبى إسحاق الشيرازى ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م، وسمع الحديث ورواه، ثم حج وجاور بمكة ثم رجع إلى خراسان وسكن قريته إلى أن توفى ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م<sup>(٢)</sup>.
- عبد الله بن عطاء بن عبد الله من أهل هراة، رحل فى طلب الحديث، وعنى بجمعه، سمع بهراة من أبى إسماعيل الأنصارى ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م، وغيره ورحل خارج خراسان، وسمع بأصبهان وبغداد، وكان حافظاً متقناً يعنى بأسماء رواة الحديث والمتون، ويركب الأسانيد على المتون، ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م<sup>(٣)</sup>.
- الحافظ الفقيه الرحال مسعود بن ناصر بن أبى زيد عبد الله بن أحمد، أبو سعيد السجزى، رحل فى طلب الحديث وسمع ببغداد وأصبهان وغيرها، ومن شيوخه الخطيب البغدادى، ثم أعاده الوزير نظام الملك الطوسى ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م للاستفادة منه، وروى عنه أهل خراسان ت ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م<sup>(٤)</sup>.
- أبو سعيد المتولى عبد الرحمن بن المأمون النيسابورى، كان فصيحاً بليغاً، ماهر بعلوم كثيرة، ودخل بغداد، فسلم إليه التدريس بنظامية بغداد، وتوفى ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص ٣٣٩.  
 (٢) ابن العماد الحنبلى: نفسه، ص ٣٤٩.  
 (٣) ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص ٩.  
 (٤) الذهبى: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص ١٢١٦، ١٢١٧.  
 (٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢، ص ١٣٧، ١٣٨.

- إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالي الجويني، تفقه في صباه على والده، وجلس مكانه للتدريس وهو دون العشرين، ورحل في طلب الحديث، فسمع الحديث الكثير ببغداد، وخرج إلى الحجاز فأقام بمكة أربعة سنين، وعاد إلى خراسان وجلس للتدريس بنيسابور ثلاثين عامًا، ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م<sup>(١)</sup>.

- ومن فقهاء خراسان الذين تولى القضاء خارج خراسان القاضي أبو المظفر عبد الجليل بن عبد الجبار عبد الله بن طلحة المرزوي، نزيل دمشق، تولى بها القضاء مدة سنة ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م، وكان عفيفًا نزيهًا مهيبًا توفي سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م<sup>(٢)</sup>.

- ومن أدباء وشعراء خراسان الرحالة الأديب أبو منصور عبد الله بن سعيد ابن مهدي الخوافي النيسابوري، وكان أديبا، شاعرا، وكان من أوفى الناس مروءة وأسمعهم نفسًا، دخل بغداد في عهد الوزير عميد الملك الكندري ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م، واستوطنها وكان كثير الرواية، وأكثر رواياته كتب الأدب، وكان قد جمع كتب من كل فن، كما كان حسن الشعر ت ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م<sup>(٣)</sup>.

- ومن علماء علوم القرآن الرحالة في طلب علم القرآن، أبو نصر المرزوي، محمد بن أحمد بن علي بن حامد الكركانجي، من أهل مرو وخراسان، وكان إماما فاضلا في علوم القرآن، طاف البلاد وسافر على المشايخ إلى أن صار أوحده عصره وفريده دهره في فنه، وقرأ القرآن على جماعة كثيرة<sup>(٤)</sup>. وأصبح شيخ القراء بخراسان، وسكن خوارزم مدة ليتفجع

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ١٨، ١٩، أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ١٩٦، ١٩٧.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٥، ص ١٠٠.

(٣) الأتباري: أبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد ت ٥٥٧هـ / ١١٧٩م، تحقيق د إبراهيم السامرائي، ط ٣، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٢٦٢.

(٤) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٥، ص ١٥٧، ١٥٨، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٧٣.

الناس بعلمه، وانتهت إليه الإمامة فى القراءات، ت ٤٨٤هـ /  
١٠٩١م<sup>(١)</sup>.

- ومن فقهاء الحنفية الذين تولوا القضاء خارج خراسان، قاضى القضاة أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسين الناصحى النيسابورى كان فقيهاً مناظراً متكلماً يميل إلى الاعتزال، فصرف عن قضاء نيسابور، وتولى قضاة الرى وسمع الحديث وحدث ببغداد وخراسان، وتوفى بقرب أصبهان سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م<sup>(٢)</sup>.

- ومن علماء خراسان التجار الرحالة أبو الفتوح نصر النيسابورى نزىل سمرقند وله ثمانون سنة، روى صحيح مسلم، وسمع الحديث بمصر، ودخل الأندلس للتجارة فحدث بها وكان ثقة، ت ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م<sup>(٣)</sup>.

- ومن علماء خراسان الذين تولوا خزائن كتب المدارس النظامية خارج خراسان أبو يوسف يعقوب بن سليمان بن داوود الإسفراينى، رحل إلى بغداد وتولى خزانة كتب المدرسة النظامية بها، وكان حسن الخط، وكان محدثاً وفقهياً فاضلاً، حسن المعرفة بأصول المذهب الشافعى الأشعرى، ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م<sup>(٤)</sup>.

ومن علماء خراسان الذين رحلوا خارج خراسان أيضاً:

- العلامة أبو المظفر السمعانى منصور بن محمد التميمى المرزوى الحنفى ثم الشافعى، تفقه على والده وغيره، وكان إمام وقته فى مذهب أبى حنيفة، فلما حج ظهر له بالحجاز ما اقتضى انتقاله إلى مذهب الشافعى، ولما عاد إلى خراسان «مرو»، لقي أذى عظيم من أهلها بسبب انتقاله،

(١) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٣١، ٤٣٢.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٩، ص ٦٠، الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٣٧.

(٣) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٧٩.

(٤) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٥، ص ٣٥٩.

فما كان منه إلا أن صنف كتباً كثيرة في مذهب الشافعي للرد على المخالفين، ت سنة ٤٨٩هـ / ١٠٩٦م<sup>(١)</sup>.

- ومن رجال الحديث والفقهاء الذين رحلوا خارج خراسان، محمد بن علي ابن عمير الهروي، رحل من هراة إلى الحجاز وخرج إلى عدن، ووصل إلى مكة، وسمع بها ثم رحل إلى بغداد وسمع بها وبغيرها من البلاد، وكان فقيهاً فاضلاً، حدث بالكثير ت ٤٨٩هـ / ١٠٩٦م<sup>(٢)</sup>.

- ومن رحل في طلب القراءات والحديث محمد بن أحمد بن محمد الرامشي النيسابوري، سافر الكثير ورحل في طلب علوم القرآن والحديث، وكان مبرزاً في علوم القرآن، وله حظ في علم العربية، وعاد إلى خراسان وأملى نيسابور وتوفي سنة ٤٩٠هـ / ١٠٩٧م<sup>(٣)</sup>.

- الشيخ الإمام المحدث الرحال، أبو الفرج، سهل بن بشر بن أحمد بن سعيد الإسفرايني، الصوفي، رحل إلى دمشق، وسمع الحديث بها وحدث عنه ولداه طاهر والفضل، وطائفة أخرى، ت ٤٩١هـ / ١٠٩٨م<sup>(٤)</sup>.

- ومن علماء خراسان الكبار، الذين رحلوا إلى البلاد الإسلامية، لنشر العلم والمعرفة، العالم حجة الإسلام محمد بن محمد بن أحمد، أبو حامد الغزالي الطوسي الشافعي، تفقه على إمام الحرمين، وبرع في علوم كثيرة وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة، ورحل إلى العراق، وقام بالتدريس في نظامية بغداد سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م، فرحل إليه رؤوس العلماء<sup>(٥)</sup>، ونقلوا كلامه في مصنفاتهم، ثم ترك التدريس

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ج ١٢، ص ١٦٥، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٩٣.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم: ج ٩، ص ١٠١.

(٣) ابن الجوزي: نفسه، ص ١٠٢.

(٤) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٦١، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٤٠٦.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٨٧، مأمون غريب: حجة الإسلام الإمام الغزالي، ط ١، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ٢٦.

والرياسة وقصد طريق الزهد والتصوف، وكان لا يأكل إلا من أجرة النسخ، ورحل إلى مكة وحج، ثم عاد ورحل إلى الشام، وأقام بيت المقدس، وأخذ في تصنيف كتاب إحياء علوم الدين في القدس، ثم أمته في دمشق إلا أنه وضعه على مذهب الصوفية<sup>(١)</sup>، واجتمع عليه العلماء في دمشق في المدرسة الغزالية، وممن حضر مجلس الغزالي في المدرسة الفقيه الشافعي جمال الإسلام أبو الحسن الدمشقي، الذي أصبح مفتي الشام ت ٥٣٣هـ / ١١٣٧م<sup>(٢)</sup>، ثم انتقل إلى مصر، وأقام بالإسكندرية، ثم عاد إلى خراسان، ودرس بنظامية نيسابور<sup>(٣)</sup>، ثم عاد إلى وطنه طوس، وصنف الكتب المفيدة المشهورة منها البسيط والوسيط، والوجيز، والمنحول والمنتحل في علم الجدل وغير ذلك<sup>(٤)</sup>، وبني بجوار منزله، مدرسة للفقهاء، ورباطاً للصوفية، وتشاغل بحفظ القرآن ومع الصحاح، وتوفي سنة ٥٠٥هـ / ١١١١م<sup>(٥)</sup>.

- أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسن الخسروجردي البيهقي، شيخ القضاة، تفقه على أبيه، وتخرج به في الحديث، وسافر بلاد كثيرة، ودخل ما وراء النهر، وسكن خوارزم مدة، وولى الخطابة وتدریس الشافعية، وتولى القضاء هناك، ثم سافر إلى بلخ، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى وطنه بيهق، وتوفي بها سنة ٥٠٧هـ / ١١١٣م<sup>(٦)</sup>.

- أبي بكر محمد بن منصور بن عبد الجبار بن المظفر السمعاني، سمع الحديث من أبيه وجماعة، ثم رحل في طلب الحديث، فسمع بنيسابور والري وهمذان، وبغداد الكوفة ومكة، وروى الحديث، ثم ورد بغداد،

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ١٦٨، ١٦٩.

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١٠٢.

(٣) الأدنة وى: طبقات المفسرين ص ١٥٢.

(٤) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ٢٥٥.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ١٧٠، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦، ص

٢٠٠، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ١٨٧، ١٨٨.

(٦) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٧، ص ٤٤.

ووعظ في المدرسة النظامية، وخرج إلى أصبهان فسمع بها، وعاد إلى مرو، وكان عالماً بالحديث والفقه والأدب والوعظ، توفي بمرور سنة ٥١٠هـ / ١١١٦م<sup>(١)</sup>.

- ومن علماء خراسان الذين رحلوا للتجارة والحديث أبو العلاء عبيد بن محمد بن عبيد القشيري التاجر النيسابوري من نيسابور، راوى الحديث، رحل إلى المغرب للتجارة، وحدث بها، واستفاد الناس بعلمه، ت ٥١٢هـ / ١١١٨م<sup>(٢)</sup>.

- ومن فقهاء خراسان ومحدثيها محمد بن حاتم بن محمد بن عبد الرحمن الطائي، أبو الحسن من أهل طوس بخراسان، تفقه على إمام الحرمين بنيسابور، ورحل إلى العراق والشام والحجاز، والثغور، وسمع بها الحديث، ثم رجع إلى نيسابور، وروى عنه أبو بكر السمعي، وأجاز لابنه أبي سعد السمعي، وسكن نيسابور ينشر العلم بها إلى أن توفي ٥١٢هـ / ١١١٨م<sup>(٣)</sup>.

- ومن فقهاء وأدباء خراسان الرحالة أبو نصر عبد الرحيم بن أبي القاسم بن هوازن القشيري النيسابوري، اعتنى به والده وأسمعه، وأقرأه حتى برع في العربية والنظم والشعر والتأويل، لازم إمام الحرمين، وحصل طريقة المذهب والخلاف، وخرج حاجاً، ثم رحل إلى بغداد، وعقد بها مجلس العلم، ورأى أهل بغداد فضله وعلمه، وحضر مجلسه الخواص، وانتفع الناس بعلمه، فحدث عنه خطيب الموصل أبو الفضل الطوسي، وأجاز لأبي سعد السمعي، وتوفي ٥١٤هـ / ١١٢٠م<sup>(٤)</sup>.

- ومن الوعاظ الرحالة أبي الفتوح الخراساني، سمع بأصبهان ومكة، وحج خمس حجج وجاور بمكة سنين، وكان واعظاً متصوفاً، ورحل إلى

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ١٨٨.

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٤، ص ٣٥.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٦، ص ٩٦.

(٤) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٠٣.

بغداد ووعظ بها، ونفق على المتصوف، ثم رجع إلى أصبهان وتوفى بها سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م<sup>(١)</sup>.

- ومن الفقهاء الوعاظ أبو الفتوح أحمد بن محمد بن محمد أخو الغزالي، الفقيه، غلب عليه الوعظ، فطاف البلاد، وخدم الصوفية بنفسه، ورحل إلى بغداد وقام بالتدريس بنظاميتها نيابة عن أخيه، واختصر «إحياء علوم الدين» وسماه «لباب الحياة» وكان مائلاً إلى الانقطاع والعزلة، ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م<sup>(٢)</sup>.

- ومن رجال الحديث أبو العلا صاعد بن سيار الاستشاقى الهروي رحل إلى بغداد، وأفاد الناس بعلمه، وكان حافظاً متقناً كتب الكثير وجمع الأبواب وعرف رجال الحديث من رحلاته، وتوفى سنة ٥٢٠هـ / ١١٢٦م<sup>(٣)</sup>.

- ومن فقهاء خراسان الرحالة والمقربين من السلاطين والوزراء، أسعد بن أبي نصر الميهني المرزوى، تفقه على أبي المظفر السمعاني وغيره، وبرع في الفقه، ورحل إلى بغداد، فقربه إليه الوزير نظام الملك الطوسى ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م، وفوض إليه التدريس بنظامية بغداد، وأفاد الناس بعلمه، ثم رحل إلى همدان، وأفاد طلبه العلم بها، إلى أن توفى ٥٢٣هـ / ١١٢٩م<sup>(٤)</sup>.

- ومن أئمة الشافعية الذين رحلوا في طلب الحديث محمد بن أحمد بن أبي الفضل الماهياني من قرى مرو بخراسان - تفقه على إمام الحرمين بنيسابور، وسمع بها الحديث، ورحل إلى بغداد، وتفقّه على أبي سعد

(١) ابن الجوزى: المنتظم: ج ٩، ص ٢٥٠.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢١١، ٢١٢، ابن الوردي: تاريخ، ج ٢، ص ٣٢، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٤، ص ٦٠، ٦١.

(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ٢٧٠، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٤، ص ٦١.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢١٦.

المتولى ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م، وقام بالتدريس بالمدرسة النظامية ببغداد، ورجع إلى موطنه وأفاد الناس بعلمه، وتوفى سنة ٥٢٥هـ / ١١٣١م، ودفن بقريته ماهيان<sup>(١)</sup>.

- ومن محدثي خراسان المحدث الحافظ صاعد بن سيار بن محمد بن عبد الله الفراوى، رحل إلى بغداد وحدث بها عن شيخ الإسلام أبي إسماعيل وغيره، ت ٤٢٦هـ / ١١٣٢م<sup>(٢)</sup>.

- ومن فقهاء خراسان ومحدثيها الذين رحلوا لنشر العلم وسماع الحديث، عبد الله الفراوى محمد بن الفضل بن أحمد الصاعدى النيسابورى، راوى صحيح مسلم ومسند خراسان، كان شافعياً فقيهاً مناظراً، صحب إمام الحرمين مدة، وأصبح فقيه الحرم لأنه أقام بالحرمين مدة طويلة ينشر العلم ويسمع الحديث، ويعظ الناس، وسمع من خلق كثير، وأملى أكثر من ألف حديث فى المساجد، ت ٥٣٠هـ / ١١٣٦م<sup>(٣)</sup>.

- ومن فقهاء خراسان الذين رحلوا لنشر العلم أبو سعد إسماعيل بن أحمد بن عبد الملك بن على عبد الصمد النيسابورى، كان من أئمة الفقهاء الشافعية، تفقه على إمام الحرمين، وأبى المظفر السمعانى، رحل إلى البلاد حتى استقر بكرمان<sup>(٤)</sup>، ينشر بها العلم، وكان معظماً عند سلطانها، محترماً بين الطلاب والعلماء، معظماً بين أهلها، فاستوطنها حتى توفى بها سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٨م<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١٠، ص ٢٣.

(٢) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٣١.

(٣) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٤، ص ٩٦.

(٤) كرمان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة، ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، وأهلها خيار أهل السنة وجماعة وصلاح فى الدين، وكانت فى العصر السلجوقى من أعمر البلاد. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٧، ص ١٣٢، ١٣٣.

(٥) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٧، ص ٤٤، ٤٥.

- ومن محدثي خراسان الرحالة زاهر بن طاهر بن أبي عبد الرحمن بن أبي بكر الشحامي النيسابوري، رحل في طلب الحديث، وكان مكثراً، صحيح السماع، وكان يستملي على شيوخ نيسابور، ورحل وأفاد الناس بعلمه، فسمع منه الكثير بأصبهان والرى وهمذان والحجاز وبغداد، وسمع من ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م، وأجاز له، ثم رجع إلى خراسان، وأملى الحديث بجامع نيسابور، وبقي فيها ينشر العلم إلى أن توفي سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٩م<sup>(١)</sup>.

- ومن المتكلمين الوعاظ الذين رحلوا خارج خراسان للوعظ، أبو الفتوح محمد بن الفضل الإسفرايني، رحل إلى بغداد ووعظ بها، وتقبل وعظه علماء وطلاب بغداد الشافعية، وكان يتكلم بمذهب الأشعرى، فثارت الحنابلة، فأمر الخليفة المسترشد بالله (٥١٢-٥٢٩هـ / ١١٨-١١٣٤م) بإخراجه عن بغداد، فلما ولي الخليفة المقتفى لأمر الله (٥٣٢-٥٥٥هـ / ١١٣٧ - ١١٦٠م)، رجع إلى بغداد، فثارت الفتنة بين الشافعية والحنابلة، فأخرجوه عن بغداد، وتوفي سنة (٥٣٨هـ / ١١٤٤م)<sup>(٢)</sup>.

- ومن فقهاء الشيعة الرحالة، أبو الحسن محمد بن الحسن أبو علي بن أبي جعفر الطوسي شيخ الشيعة وعالمهم، رحل إلى العراق، ورحلت إليه طوائف الشيعة من كل جانب وحملوا إليه، وتوفي سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٦م<sup>(٣)</sup>.

- ومن محدثي خراسان الرحالة، وجيه بن طاهر بن محمد بن محمد أبو بكر الشحامي، من أهل نيسابور، من بيت الحديث، وكان يعرف طرفاً من الحديث، فرحل لطلب الحديث، فسمع بهراة وبغداد، وأجاز لأبي الفرج بن الجوزي ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م، وأفاد الناس بعلمه، ت ٥٤١هـ / ١١٤٧م<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ٧٩، ٨٠. الذهبي: دول الإسلام، ج ٢، ص ٣٦.

(٢) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٦٥، ٥٦٦.

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١٢٦، ١٢٧.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ١٢٤، الذهبي: دواة الإسلام، ج ٢، ص ٤٢.

- أبو المفاخر النيسابوري الحسن بن ذى النون بن أبي القاسم بن أبي الحسن، رحل إلى بغداد، فوعظ بها، وكان ينال من الأشاعرة، فأحبته الخنابلة، ثم اختبروه، فإذا هو معتزلى، وجرت بسببه فتنة بغداد، وتوفى ٥٤٥هـ / ١١٥١م<sup>(١)</sup>.

- ومن أصحاب بيوت العلم والحديث الرحالة محمد بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الملك بن أبي سعد بن أبي صالح المؤذن النيسابوري، ولد نيسابور، وهو من بيت العلم والحديث رحل مع والده المتوفى سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٨م إلى كرمان، وقد أرسله سلطان كرمان، إلى بغداد رسولا إلى السلطان السلجوقي في سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٦م، وتوفى بكرمان سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٣م<sup>(٢)</sup>.

- ومن أصحاب الحديث الرحالة أيضا الحافظ الإمام، محدث مرو، وخطيبها، أبو طاهر محمد ابن أبي بكر السنجى لمرزوى، سمع الكثير، ورحل وتفقه وسمع الحديث ببغداد والكوفة، والحجاز، وأصبهان، ثم عاد إلى مرو وأصبح محدثها وخطيبها، وكان يلى الخطابة فى الجامع الأقدم بمرو، توفى سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٤م<sup>(٣)</sup>.

- عبد الملك بن عبد الله بن أبى سهل أبو الفتح الكروخى الهروى، سمع من جماعة بهراة، ورحل إلى بغداد، والتف حوله الطلاب والعلماء منهم ابن الجوزى، وكان يكتب النسخ بجامع الترمذى ويبيعها ويتقوت بها وخرج إلى مكة، فجاور بها إلى أن توفى سنة ٥٤٨هـ / ١١٤٥م<sup>(٤)</sup>.

- ومن فقهاء خراسان الذين رحلوا لنشر العلم والمعرفة أبو الحسن البلخى على بن الحسن الحنفى الواعظ الزاهد، نزل حلب، وقام بالتدريس فى مدرسة الصادرية بها، كما قام بالتدريس فى مسجد خاتون بحلب، وقام

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٤٦.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١٠، ص ١٤٩.

(٣) الذهبى: تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٣١٢.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١٠، ص ١٥٥.

بإبطال «حى على خير العمل» من حلب، وكان معظماً مفخماً من أمراء حلب، وتوفى سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٤م<sup>(١)</sup>.

- ومن علماء الصوفية الشيخ الصالح، أبو الفضل حمد بن طاهر بن سعيد بن أبي الخير الميهنى الخراسانى الصوفى، سمع بقريته، ورحل إلى نيسابور، وسمع بها، ثم رحل إلى بغداد، واستوطنها وقام بنشر العلم فيها، وروى الكثير، وروى عنه السمعانى وغيره توفى ٥٤٩هـ / ١١٥٥م<sup>(٢)</sup>.

- ومن اللغويين والأدباء الخراسانيين الذين رحلوا عن خراسان أبو الحسن الإسفراينى على ابن نصر بن محمد بن عبد الصمد، وكان له معرفة تامة باللغة والأدب، وخط وبلاغة، وكان له شعر مليح، ويد باسطة فى الكتابة والرسائل، أقام ببغداد مدة، ثم رحل عنها، وتوفى سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٦م<sup>(٣)</sup>.

- أبو القاسم إسماعيل بن على بن الحسن النيسابورى، رحل لسماع الحديث، واستوطن أصبهان، ولقب بالأصبهانى الصوفى، وحدث بها، وصار مسند أصبهان ت ٥٥١هـ / ١١٥٧م<sup>(٤)</sup>.

- الشيخ الصادق الجليل عبد الصبور بن عبد السلام الهروى، رحل لسماع الحديث، وقام بالحج سنة ٥٣٩هـ / ١٠٤٥م وحدث بهمدان وببغداد، وروى عنه السمعانى وابنه عبد الرحيم، ورجع إلى هراة وتوفى بها سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٨م<sup>(٥)</sup>.

- المحدث عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن إبراهيم أبو إسحاق أبو عبد الله الهروى ولد سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م، وسمع الحديث من أبا

(١) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١٤٨.

(٢) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٣.

(٣) السيوطى: بغية الوعاة، ج ٢، ص ٢٠٢.

(٤) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١٥٨.

(٥) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٠.

إسماعيل الأنصاري ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م، وغيره ورحل فسمع صحيح البخاري ورحل إلى العراق وخوزستان<sup>(١)</sup>، وروى الحديث ببغداد، وتوفي سنة ٥٥٣هـ / ١١٥٩م<sup>(٢)</sup>.

- الشيخ الفقيه محمد بن أبي بكر بن عثمان، أبو طاهر السنجي المرزوي، رحل إلى بخاري ببلاد ما وراء النهر، وتوفي لها سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٢م<sup>(٣)</sup>.

- أبو الظفر سعيد بن سهل الوزير النيسابور، روى المجالس، ووزر لحاكم خوارزم، فسمى بالخوارزمي، وحج وتزهد ورحل إلى دمشق وأقام بالمدرسة السمسياطية وكان صالحا متواضعا، توفي سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٥م<sup>(٤)</sup>.

- أبو سعد السمعاني عبد الكريم بن محمد بن منصور المرزوي رحل في طلب الحديث، فدخل بغداد سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٨م<sup>(٥)</sup>. ورحل إلى ما وراء النهر وسمع من الحديث ما لم يسمعه غيره<sup>(٦)</sup>. فأصبح حافظ خراسان<sup>(٧)</sup>، وقيل أن عدد شيوخه سبعة آلاف شيخ، وهذا شيء لم يبلغه أحد، وروى عنه ولده عبد الرحيم مفتي مرو، كما روى خلق كثير، وتوفي بمرو سنة ٥٦٢هـ / ١١٦١م<sup>(٨)</sup>.

(١) خوزستان: بضم أوله وبعد الواو الساكنة زاي وسين مهملة وتاء مثناة من فوق وآخره نون، وهو اسم لجميع بلاد الخوز، والخوز هم أهل خوزستان ونواحي الأهوازيين، فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصفهان: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٥٩.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ١٨٢، ١٨٣، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٥٧.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦، ص ١٨٨.

(٤) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١٨٨.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ٢٢٤، ٢٢٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٧٤.

(٦) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ٤٤.

(٧) الذهبي: دول الإسلام، ج ٢، ص ٦٦.

(٨) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٣١٧ - ١٣١٨، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٤، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

هكذا كانت الرحلات العلمية من إقليم خراسان إلى البلدان الإسلامية إما لتلقى العلم أو لإلقاء العلم، مما أدى إلى ازدهار الحركة الفكرية في إقليم خراسان في العصر السلجوقي.

### الرحلات العلمية إلى خراسان:

- أبو بكر الفاضل الأصبهاني أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحارث التميمي المقرئ النحوي، رحل إلى نيسابور وسكنها النحوي، رحل إلى نيسابور وسكنها، ومتصدر للحديث وإقراء العربية ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٧م<sup>(١)</sup>.

- أبو الحسن الأسترأبادي<sup>(٢)</sup>. علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الحاكم الشافعي، وكان من كبار أئمة الحديث، رحل إلى مرو، وكان يقرأ القرآن ظاهراً، وكان مجتهداً بمرو، كما كان يكتب طوال اليوم، وكان له الدرس والفتوى، وحدث بمرو سنة ٣٢٢هـ / ١٠٣٩م<sup>(٣)</sup>.

- الإمام الحافظ، المحدث، أبو مسعود أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن شاذان الرازي، رحل إلى نيسابور، فنسب إليها بالنيسابوري، وكان يسافر للتجارة كثيراً، كما كان عارفاً بالأصول والحديث، وحدث عنه بخراسان إسماعيل بن عبد الغافر ت ٥٢٩هـ / ١١٣٥م وتوفي ببخارى سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م<sup>(٤)</sup>.

- أبو الطيب الطبري طاهر بن عبد الله بن طاهر، رحل إلى نيسابور لسماع الحديث ودرس الفقه بها، ورحل إلى بغداد، وتوفي بها ودفن بمقبرة باب حرب سنة ٤٤٥هـ / ١٠٥٨م<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٤٥.

(٢) أسترأبادي: بالفتح ثم السكون وفتح التاء المثناه من فوق وراء ألف وباء موحده وألف وذال معجمه، بلده كبيرة مشهورة، أخرجت خلقاً من أهل العلم في كل فن وهي من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٤٣، ١٤٤.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٢٣٩: ٢٤٠.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٢، ص ٣٥٣.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ١٩٨، السبكي: طبقات الشافعية، ج ٥، ص ١٢.

- أبو عثمان النجيرمي<sup>(١)</sup>، سعد بن محمد بن أحمد بن محمد النيسابوري، رحل في طلب الحديث إلى مرو وافراين وغيرها، وبرع في الحديث، حتى صار محدث خراسان ومسندها ت ٤٥١هـ / ١٠٥٩م<sup>(٢)</sup>.
- أبي منصور سعد بن محمد، أبو المحاسن الجرجاني ندرس الفقه وتخرج على يده جماعة، وروى الحديث، ورحل لنشر العلم في جميع البلدان، وعقد له مجلس المناظرة في نيسابور وهراة وغزنة، وقتل ظلما باستراباد سنة ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م<sup>(٣)</sup>.
- ومن علماء المغرب الذين رحلوا إلى خراسان أبو بكر بن منصور بن خلف المغربي الأصل، رحل إلى نيسابور، فنسب إليها ولقب بالنيسابوري وروى الحديث بها ت ٤٥٩هـ ١٠٦٧م<sup>(٤)</sup>.
- ومن الرحالة في طلب الحديث عبد الرحيم التميمي بن احمد البخاري، أبو زكريا وكانت له الرحلة الواسعة، طاف بلاد خراسان ودمشق وبغداد، وكان من الحفاظ الثقات والرحالين الثبات توفي ٤٦١هـ / ١٠٦٩م<sup>(٥)</sup>.
- أبو بكر الخطيب البغدادي، احمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، احد مشاهير الحفاظ، وصاحب تاريخ بغداد، نشأ ببغداد وسمع الحديث وتفقه بها، ورحل إلى البصرة، ونيسابور، واصبهان وهمدان والشام والحجاز ورجع في نهاية الرحلة إلى موطنه وتوفي ٤٦٣هـ / ١٠٧١م<sup>(٦)</sup>.

(١) نجيرم: بفتح أوله وثانيه وراء مفتوحة وميم، وقيل بكسر الجيم، محله بالبصرة، وقد نسلب إليها قوم من أهل الدب والحديث. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٧٩.

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٨٨.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٢٢٨.

(٤) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٥٨.

(٥) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٠٨.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١١٠.

- ومن الأدباء والشعراء الذين رحلوا إلى خراسان الإمام أبو الحسن نصر بن الحسن المرغيناني<sup>(١)</sup>، رحل إلى خراسان، فأقام بزوزن خراسان، وكان مجلسه عامرا بالطلاب، وكان له علم جيد بالنظم والنثر حضر مجلسه البخارزي ت ٤٦٧هـ / ١٠٥٧ م ولم يذكر تاريخ وفاته<sup>(٢)</sup>.

- ومن المقرئين والنحويين الذين رحلوا إلى خراسان، يوسف بلن علي بن جبارة ابن محمد بن عقيل أبو القاسم الهزلي المغربي، الضير الم ٤ قريء النحوى، رحل إلى البلاد فى طلب علم القراءات، ورد نيسابور فحضر دروس أبى القاسم القشيري ت ٤٥٦هـ / ١٠٧٣ م، وغيره، وأقره نظام الملك الطوسى الوزير السلجوقى فى مدرسة نيسابور مقرئا بها سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٤ م، فاستمر بها إلى أن توفى سنة ٤٥٦هـ / ١٠٧٣ م<sup>(٣)</sup>.

- شيخ الشافعية، أبو الربيع طاهر بن عبد الله التركى الإيلاقى<sup>(٤)</sup>، وكان قد رحل إلى خراسان فى صباه وتفقه بمرو، وأصبح له وجه فى المذهب وتوفى سنة ٤٥٦هـ / ١٠٣٠ م<sup>(٥)</sup>.

- ومن علماء أصفهان، الذين رحلوا إلى خراسان: عبد الرحمن بن منذه، الحافظ العالم المحدث، رحل إلى خراسان وسمع أبا سعيد الصيرفى بنسابور، وأجاز لظاهر ابن أحمد السرخسى، وانتفع أهل خراسان بعلمه، ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧ م<sup>(٦)</sup>.

---

(١) مرغينان: بالفتح ثم السكون وغين معجمه وراء مكسورة وياء ساكنة ونون وأخره نون أخرى، بلد بما وراء النهر من اشهر البلاد من نواحي فرغانه، خرج منها جماعة من الفضلاء. ياقوت: معجم البلدان، ج ٨، ص ٢٥٠.

(٢) البخارزي: دمية القصر، ج ٢، ص ٧٤.

(٣) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ص ٦٤٩، ٦٥٠.

(٤) الإيلاقى: بكسر الألف وسكون الياء المنقوله بنقطتين من تحتها، وفى آخرها الكاف، هذه النسبة إلى إيلاق وهى بلاد الشاش المتصلة ببلاد الترك، خرج منها جماعة من الأئمة. السمعانى: الأنساب، ج ١، ص ٢٤٨.

(٥) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٨٦.

(٦) الذهبى: تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ١١٦٥، ١١٦٦.

- ومن علماء العراق، عالم العراق: أبو إسحاق الشيرازي إبراهيم بن علي الشافعي<sup>(١)</sup>، رحل إليه الطلاب من القطار، وتخرج به أئمة كبار، وعندما ذهب إلى خراسان كان يقول "خرجت إلى خراسان"<sup>(٢)</sup>، فما دخلت بلدة ولا قرية، إلا وكان قاضيها أو مفتيها، أو خطيبها تلميذي، أو من أصحابي ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م<sup>(٣)</sup>.

- ومن تفقه بخراسان، وصار قاضي القضاة في العراق العلامة البارع، مفتي العراق، أبو عبد محمد بن علي بن محمد بن حسين بن عبد الوهاب بن حسوية الدامغاني<sup>(٤)</sup>، تفقه بخراسان، وقدم بغداد شابا وسمع من علمائها، ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥<sup>(٥)</sup>.

- أبو بكر الشاشي محمد بن علي بن حامد شيخ الشافعية تفقه ببلاده، ورحل إلى غزنة وهي في أول حدود، واستوطنها ودرس فيها، وصنف وحدث، وبعد صيته، فاستدعاه الوزير السلجوقي نظام الملك إلى هراة، فشق على أهل غزنة مفارقتة، وولاه الوزير التدريس في نظامية هراة، وتوفي سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م<sup>(٦)</sup>.

- ومن الرحالة الجوالين في طلب الحديث هبة الله بن عبد الوارث بن علي بن احمد بن بوري الشيرازي، رحل وسمع بخراسان وغيرها، ورحل إلى العراق وقومس وخوزستان والجلال، ثم رجع إلى مرو، وبقي فيها إلى أن توفي ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م<sup>(٧)</sup>.

(١) الذهبي: دول الحفاظ، ج ٣، ص ٥٠٦.

(٢) الشيرازي: أبي إسحاق ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م، طبقات الفقهاء، حققه وقدم له د. علي محمد عمر، ط ١، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، مقدمة المترجم، ص ٥.

(٣) الدامغاني: بالدل المفتوحة المشددة المهمة، والميم المفتوحة والغين المنقوطة، نسبة إلى دامغان بلدة من بلاد قومس. السمعاني: الأنساب ج ٢، ص ٥٠٦.

(٤) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤١٤.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٤٧.

(٦) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٢، ص ٣٧٥.

(٧) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ٧٤، ٧٥.

- ومن المحدثين التجار الشيخ الثقة العابد التاجر أبو القاسم الفضل بن أبي حرب أحمد بن عيسى الحرجاني، رحل إلى خراسان، وكان صاحب سماع كثير، ومسانيد بنيسابور ولقب بالنيسابوري التاجر توفي سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م<sup>(١)</sup>.

- أبو تراب المراغي<sup>(٢)</sup>، عبد الباقي بن يوسف بن علي صالح، سمع ببغداد من أبي الطيب الطبري وتفقه عليه، وسمع بالموصل وبأصفهان، ورحل إلى نيسابور ونزلها وسمع بها، وتشاغل بالتدريس والمناظرة والفتوة، وكان يقول "احفظ أربعة آلاف مسألة في الخلاف، واحفظ الكلام فيها ويمكنني أن أناظر في جميعها" وتوفي سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م<sup>(٣)</sup>.

- ومن الأمراء الذين رحلوا إلى خراسان، الأمير الشاعر أبي الهيجاء، شبل الدولة، مقبل بن عطية البكري الحجازي رحل إلى بغداد وغزته وخراسان، واختص بنظام الملك، ثم نزل هراة، واستوطنها إلى أن توفي سنة ٥٠٥هـ / ١١١١م<sup>(٤)</sup>.

- ومن علماء الحديث الذين رحلوا في طلب العلم الحافظ عبد الله بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث ولد بدمشق وسمع بها من أبي بكر الخطيب البغدادي، بغداد، ورحل إلى أصبهان، ونيسابور وعنى بالحديث وألف معجما في مجلد، وكان من الثقات النقاد، توفي سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م<sup>(٥)</sup>.

- ومن علماء الحديث الذين، جالوا في مدن خراسان، الحافظ الأوحى المقيد الرحال، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الأصبهاني، وكانت

(١) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢- ص ٤٤٠.

(٢) المراغي: نسبة إلى مراغة وهي بلدة مشهورة عظيمة، أعظم وأشهر بلاد أذربيجان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٨، ص ٢٣٨.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص ١١٠، ١١١.

(٤) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٨١، ٤٨٢.

(٥) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص ٤٩.

أولى رحلاته على خراسان فى سنة ٤٦٦هـ / ١١٧٣م، فسمع بنيسابور وطوس، وسرخس ومرو وهراة وبلخ، كما رحل إلى ما وراء النهر، فأصبح بذلك الحافظ الأوحد، ومن كبار المحدثين، وتوفى سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م<sup>(١)</sup>.

- ومن الرحالة فى طلب الحديث أيضا: سهل بن محمود بن محمد بن إسماعيل البرانى البخارى، رحل وسمع الحديث الكثير وحدث وتفقه، ورحل إلى خراسان، وكان بها إماما فاضلا مناظرا، واعظا متشاغلا بالتعبد وتوفى ببخارى سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م<sup>(٢)</sup>.

- ومن الصوفية الذين رحلوا إلى خراسان وأقاموا بها، الشيخ أبو يعقوب يوسف بن أيوب الهمذانى، أوجد الأئمة، وانتهت إليه تربية المريدين بخراسان، واجتمع عنده بالخانقاه المنسوبة إليه من العلماء والصلحاء جماعة كثيرة، وانتفعوا به وبعلمه، وتوفى بمرو سنة ٥٣٥هـ / ١١٤١م<sup>(٣)</sup>.

- ومن الفقهاء الذين رحلوا إلى خراسان عبد الجبار بن محمد بن احمد أبو محمد الخوارزمى نسبة إلى خوار بلد بالرى - الشافعى المفتى، ورحل إلى نيسابور وتفقه فى صباه على فى صباه على إمام الحرمين وأبو بكر البيهقى وأبو القاسم القشيرى فأصبح إمام جامع نيسابور، وتوفى سنة ٥٣٦هـ / ١١٤٢م<sup>(٤)</sup>.

- أحمد بن محمد البخارى، سمع من أبيه الحديث وتفقه عليه وسمع عليه وسمع من غيره، ورحل إلى خراسان، لفتى وناظر وأملى الحديث، وتوفى بسرخس، وحمل إلى مرو، ثم إلى بخارا ودفن بها سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٢م<sup>(٥)</sup>.

(١) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥١١.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١٠، ص ١٩.

(٣) عبد الوهاب الشعرانى: الطبقات الكبرى، جزءان فى مجلد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون، ج ١، ص ٢٣١، ٢٣٢.

(٤) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١١٣.

(٥) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١٠، ص ١٢٦، ١٢٧.

- أبو تمام أحمد بن أبي العز محمد بن المختار بن المؤيد بالله الهاشمي العباسي البغدادي، الرحال، نزيل خراسان، وتوفى بنيسابور سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٩م<sup>(١)</sup>.
- ومن بلاد الأندلس الرحالة عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن أحمد بن أبي حبيب، أبو محمد الأندلسي، صرف عمره في طلب العلم، وولى القضاء بالأندلس ثم دخل مصر والإسكندرية وجاور بمكة ثم قدم بغداد، فأقام بها مدة ثم رحل إلى خراسان، وأقام بها ينشر العلم، وتنقل بين مدنها بنيسابور وبلخ وهراة، وكان غزير العلم في الحديث والفقه والأدب، وتوفى بهراة سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٠م<sup>(٢)</sup>.
- الإمام المفيد حمزة بن محمد بن بحسول أبو الفتح الهمداني، جال في بلاد الإسلام في طلب الحديث، ونزل هراة، وأفاد علماءها وطلابها بقرائته، ثم رحل إلى بلخ، وعقد مجلس الإملاء بها، إلى أن توفى هناك سنة ٥٤٩هـ / ١٥٥١م<sup>(٣)</sup>.
- علي بن معصوم بن أبي ذر المغربي الشافعي، كان إمام فاضل، عالم بالمذهب، بحرف في الحساب استوطن العراق وتفقه بها، ثم انتقل إلى خراسان، وانتفع الطلاب والعلماء بعلمته، وتوفى بأسفرايين سنة ٥٥٠هـ، ١٥٥٢م، وقيل سنة ٥٥١هـ / ١٥٥٣م<sup>(٤)</sup>.
- ورحل إلى خراسان أيضا: محمد بن أبي جعفر بن علي الهمداني، وسمع بها وبالعراق وبلاد الجبل وتوفى ٥٥٥هـ، ١٥٥٧م<sup>(٥)</sup>.
- ومن الرحالة النحويين الحسن بن صافي بن عبد الله أبو نزار الملك بملك

(١) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١٣٥.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ١٤٥.

(٣) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٢٤.

(٤) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١٥٨، ١٥٩.

(٥) ابن العماد الحنبلي: نفسه، ص ١٥٧.

النحاة، رحل وتفقه ودرس النحو وبرز فيه، رحل إلى خراسان، وكان أئمة النحاه، متفننا في العلوم، وتوفى سنة ٥٦٨هـ / ١٦٦٠م<sup>(١)</sup>.

- وكان للنساء العالمات نصيب في ازدهار الحركة الفكرية عن طريق الرحلات العلمية فقامت النساء بالرحلة إما في طلب العلم أو إفادة الطلاب، وومن رحلن من خراسان إلى بغداد الواعظة خديجة بنت محمد ابن علي بن عبد الله المعروفة بالشاهجية المروزية ت ٤٦٣هـ / ١١٦٨م، كانت تعظ ببغداد<sup>(٢)</sup>، وومن حدث عنها أبو البدر الكرخي إبراهيم بن محمد بن منصور ت ٥٣٩هـ / ١١٤٥م<sup>(٣)</sup>.

- كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المزوية، سمعت الحديث وقرأ عليها الأئمة كالخطيب البغدادي وابن السمعاني، توفيت بمكة ٤٦هـ / ١٠٧١م<sup>(٤)</sup>.

- ومن النساء الذين رحلوا إلى خراسان فاطمة بنت علي بن المظفر بن دعبل أم الخير البغدادية، رحلت إلى خراسان، ونزلت نيسابور ولقبت بالنيسابورية، حدث وروت صحيح مسلم وغريب الخطابي، وكانت تلقن النساء، وتوفيت ٥٣٣هـ / ١١٣٩م<sup>(٥)</sup>.

هكذا كانت الرحلات العملية وإسهاماتها في ازدهار وتطور الحياة الفكرية في إقليم خراسان في العصر السلجوقي.

(١) السبكي: طبقات الشافعية، ج٧، ص ٦٣.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج٨، ص ٢٥.

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص ١٢١.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج٨، ص ٢٧٠، ابن كثير: البداية النهاية، ج١٢، ص ١١٣.

(٥) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص ١٠٠.